# لابـد

# والأســبــاب

علاء حامد

# لابــد
# والأسـبـاب

علاء حامد

آمالي عظيمة تفوق آمال كثير من البشر طموحـــاتي لا حصر لها أن أغير حياة شعبي المستكين للظلم.. يقتاته صبحاً ومساءً في متواليات مقبحات العصر السبعة. الفقر .. البرسيم .. العصا .. الحمار .. المرعي .. القيد .. الكراهية..

الفقر أمره معروف للخاصة والعامة .. بنده الحاجـــة الملحة لحياة كريمة والعجز عن الحصول عليها .. والبرسيم طعام مدعم يقدم في أكشاك التموين لا يغني ولا يسمن مـــن جوع .. والعصا يهش بها الحاكم غنمه ولــه فيهــا مــآرب أخري التحويش والتكبيش والتهويش .. والحمــار مــواطن مغلوب على أمره لا يملك قدره أمام نخس مؤلم بمسمار حاد .. والمرعي مساحات شاسعة من الأراضي الخضراء يرعى فيها أولاد السلطة وتزيد عن حاجاتهم .. والقيد يتمثــل فــي توريث الحكم لفئة العسكر وأخيراً الكراهيــة التــي عبقــت وجدان الناس تجاه الحكم فحملت منه جنين العداء.

أحلام شتي داعبتني أن يتغيـر الحـال وأن نعـيش الحرية وأن يتثاءب الناس بعد ليل طويل حالك الظلمة .. لكن تلك الأحلام كانت تموت في مهدها والنظام يُحكِم قبضته على رقاب الناس .. بل يكاد أن يمنع عـنهم الشـهيق والزفيـر وتحولنا من سئ الديكتاتورية إلي ما هو أسوء الفاشية بعد أن تم وضع عسكري بمدفع رشاش عند كل رأس جسر للتعددية .. وافترس الفزع الأنفس أن نقترب من نقـاط الديمقراطيـة خوفاً من بطش السلطة وهـي تهـدد بالسـجن والتشـريد والاغتيال .. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل بدأ النظـام يربي غول الفساد طعامه الأفسدة كلما تغذي ازدادت شراهته .. اقتنص ضحاياه من ودائع البسطاء فـي البنـوك وعائـد خصخصة الشركات .. مصمصها .. التهم كـل مضـامينها حتى الأرض والجدران طحنها تحت ضروسه وهضـم كـل هذا بمعدة تطحن الزلط وبدأنا التقهقر رويداً رويداً إلي الوراء منكسرين منهزمين أمام جيش جرار من العاطلين والفقـراء وأعداد رهيبة من المواليد.. فئـران كـل همهـا التناسـل والإنجاب دون رادع .. إلي أن وصلنا في تقهقرنـا لحافـة الهاوية .. خطوة واحدة للخلف ونتزلق إلي أسفل سـافلين ..

كل هذا ونحن نتساءل كيف وصلنا إلي هذا الحد من التـــدني والتخلف حتى أصبحنا قاب قوسين أو أدنــــي مـــن الســـقوط للهاوية ولم نعثر على إجابة لهذا السؤال المســـتحيل لا فـــي الصحف ولا في الكتب ولا فيما نسمعه من متنـــاثر أقـــوال المسئولين الجوفاء .. الساحة باتت خاوية على عروشها مـــن ملموسات الحقائق إلا من الكذب والتضليل فكـــل مـــا هـــو معروض في فترينات الإعلام كلام بايت سمعناه منذ خمسين عاماً وما زال يتردد حتى الآن عن الحريـــة والديمقراطيـــة ومساعدة الطبقة الفقيرة مجرد كلام " لا يودي ولا يجيب ".. لكن الحقائق تتكلم في صراحة ووضوح أن الحريـــة مكبلـــة بالقيود والديمقراطية دابة يركبها الحاكم والطبقة الفقيرة تزداد فقراً وتتزايد حاجتها لحياة كريمة وأن أكثر الوزراء حرامية مصاصي دماء لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة إلا بمص دم المعدمين وأن المسئولين يغضون الطرف عـــن خطايـــا الفساد التي تكلف الإنسان العادي البسيط ثمناً باهظاً يدفعه من دخله المتواضع ومن حريته ومن إنسانيته.

أمام كل هذا الضباب الكثيف الـــذي يحجـــب عنـــا الحقائق وإزاء ما وصلنا إليه من مهانة وإذلال لم أجد ثمـــة

وسيلة للعثور على إجابة شافية لكل تلك التساؤلات الحائرة سوي لقاء الرئيس ربما بعدها تهدأ هواجسي ولا أقدم على الخطوة التي ترددت في تنفيذها وأنا أري مجتمعنا ينهار ويتقوقع وينطوي.. لم يكن أمامي لتحقيق رغبة لقائه سوي أن أكتب له .. كتبت مائة رسالة كنت أرسل يومياً ثلاثة رسائل دون جدوى فلم يصلني رد واحد ولو حتى كلمه واحدة " آسفين " " متعذر " "ممنوع " " مرفوض " قررت أن أسلك سبيلاً آخر لتحقيق غايتي كتبت مقالاً لصحيفة الوفد أطلب في آخره مقابلة الرئيس.. رفضه رئيس التحرير رغم إعجابه بمضمونه .. أما رئيس تحرير الأهالي فقد سخر منى قائلاً " عشم إبليس في الجنة فإذا كان لقاء رئيس الحزب بالقيادة من المحرمات فلقائك بها من المستحيلات " !! لم يفت هذا في عضد إرادتي حملت للأهرام مسطور إعلان أطلب في نهايته لقاء الرئيس وكانت الطامة الكبرى صدرت الأوامر للأمن باستبقائي داخل صالة الإعلانات ولم أتحرر إلا بعد تمزيق الإعلان.. توجهت بعدها للأخبار ووجهت بنفس الرفض.

رغم كل هذه الصعوبات لم يمتلكني اليأس.. لم أفقد هدفي في نفقه المظلم .. في جلسة جمعتني وصديقي المستشار " صهيل " زميل دراستي وبعد أن شرحت له الموقف وإيعاده بتفاصيلها المملة .. ابتسم متمتماً:

- وعايز مني رقم التليفون !!

تنفست الصعداء وأنا أهمهم:

- لن أنسي لك هذا الصنيع.

وبعد أن أملاه على تمتم محذراً:

- أنا لا عرفتك ولا شفتك.

في اليوم التالي قلت أجرب .. يمكن تكون النمرة فشنك .. أدرت قرص التليفون بعدها تهادي إلي صوت الرئيس نضراً .. قوياً.. تلاحقت أنفاسي تعثرت الكلمات على لساني .. ممسوكة أو مخنوقة وأنا أسمع صوته للمرة الثانية:

- آلو .. آلو .. مين؟

بعدها وضعت السماعة .. انغلق الخط.

مرت ساعة زمن استعدت خلالها أبعاضـــي المبعثـــرة وأقمت تحصيناتي الدفاعية .. طلبت الرقم من جديد فـــور أن سمعت صوت الرئيس تهادت كلماتي بحميمية:

- سلامتك ياريس.
- مين معاي؟
- أنا ضمير.
- ويطلع مين ضمير؟ الاسم غريب.
- هو الضمير بقي غريب يا ريس .

في تلك اللحظة رد على غاضباً:

- إحنا هنلعب.
- العفو يا ريس سيادتك الحاكم وأنا المظلوم.
- إنت مين وعايز إيه؟
- واحد بيحبك وعايزك تسمعه.

هدأت نبرة غضبه وحدة صوته وهو يسألني:

- خير.
- جواي كلام كثير عايز أقوله.
- قول أتكلم.
- لازم يكون في مواجهتك.

- ليه .. ما انا سامعك.
- عايز أشبع من رؤيتك.

ضحك الرئيس .. انفرجت أسارير كلماته:

- كلام ولا الغزل.
- حتى كلمات الغزل لا تكفي يا ريس.
- إنت حرارتك كام.
- ألف فرنهايت عشق.
- كل دا ليه!
- عشان بحبك.
- كلام لا يودي ولا يجيب.
- والمفيد يا ريس.
- ابعت فاكس أو خطاب بطلباتك.
- أرسلت مائة رسالة ولم يصلني رد واحد.
- ولا واحدة وصلتني.
- مسجلة يا ريس .. مسجلة!!
- قل لي على مشكلتك.
- مشكلتي إني عايز أقابلك.
- وهي دي مشكلة.

- وعويصة يا ريس.
- نحاول حلها.

سكت .. عاد مستطرداً:

- لكن قل لي عرفت رقمي الخصوصي إزاي ؟!
- بالإصرار يا ريس.
- أنا سألتك عرفته من مين.
- سرّ وعدُت صاحبه أن لا أفشيه.
- وأنا أحيي فيك الأمانة.
- يبقي أكيد نجحت في الامتحان!!
- قبل ما أحط الدرجة النهائية تجاوبني على كام سؤال.
- تحت أمر أسئلتك كلها.
- سيبك بقي من الكلام الخايب وقل لي بصراحة على مرامك من لقائي.
- خايف الصراحة تبعدني عن مقابلتك.
- هتغني!
- كلامي مش أغاني يا ريس.
- خلصني وقولي عن سبب لقائك بي.
- سبب ظاهر والثاني مستتر.

- الظاهر؟
- قلته قبل كدة .. عايز أشبع من رؤيتك.
- والمستتر؟
- خللي الطابق مستور.
- كلام غامض!
- إقبله على علاتة لغاية ما نتقابل.
- أنت واثق من نفسك قوي.
- سيادتك اللي أوحيت لي بهذه الثقة.
- أي واحد يسمعك يستشف من كلامك إنك ناشط سياسي.
- ناشط سياسي في بلد محرومة من الحرية.
- ولاّ لك خلفية سياسية " إخواني " " شيوعي "؟
- تيارات عفي عليها الزمن.
- كده إنت نجحت في الامتحان.
- والميعاد يا ريس؟
- اتصل بسكرتيري الخصوصي.

وقبل أن أهم بالاعتراض على هذه الوسيلة الغير مجدية استطرد الرئيس قائلاً:

- أهو معاك على التليفون.

وتحدد يوم الثلاثاء الساعة الحادية عشر صباحاً ميعـــاد لقائي بالرئيس.

بعد ثماني وأربعين ساعة توقفت أمام منزلي ســـيارة فارهة سوداء تحمل أرقام ثلاث سبعات ملاكي القاهرة .. بعد توقفها هبط منها رجلان صعدا إلي شقتي .. لم تمر ســـوي لحظات قليلة حتى دق جرس الباب فور أن فتحتـــه رأيـــت أمامي شحط طويل عريض المنكبين مثل باب جـــراج قمتـــه سوداء .. دهشت وهو يطلب مني في استعلاء النزول للتوجه لرئاسة الجمهورية ... أفرزت دهشتي في سؤالي:

- لكن الميعاد بكرة!
- كان واتغير للنهاردة.

هززت رأسي ما بين مصدق ومكذب وهـــو يســـتطرد قائلاً:

- السيارة في انتظارك أسفل العمارة.

أنستني فرحة اللقا بالرئيس كل شـــكوكي وأنـــا اقـــتحم حجرة النوم.. زوجتي نائمة أيقظتها كلماتي الواثقة:

- أنا رايح أقابل الريس.

سألتني في دهشة:

- كان الميعاد بكرة .. إيه اللي غيره!

سكتت عادت مستطردة:

- خايفة عليك.. ناس لا لهم عهد ولا أمان.

- يا شيخة بلاش سوء الظن دا.

أسرعت إلي الدولاب التقط البذلة الأنيقة التي اشتريتها خصيصاً لهذه المناسبة النادرة وكرافت مزهزهة متداخلة ألوانه .. ارتديت أشيائي على عجل .. تجهزت.. لم أنسي أن أنشق وجهي بالكولونيا .. أسرعت هابطاً السلالم .. طائر الفرحة يغرد داخلي وأنا استقل السيارة فوجئت بجثتي محشورة بين أثنين على الأريكة الخلفية.. أقلعت السيارة وأنا أسأل نفسي في ضيق مكتوم " هو دا منظر واحد رايح يقابل الريس " السيارة تتهادى في الطريق عبر كوبري الملك الصالح إلي شارع صلاح سالم .. اشتممت رائحة كريهة وهي تتجه يميناً .. تسلك طريق المقطم تزايدت بشاعة الرائحة وأنا أسأل في دهشة:

- رايحين على فين؟!

رد متحدثهم في سخرية:

- بنختصر الطريق.
- من سكة المقطم!!
- كلها سكك .. المهم نوصلك بالسلامة.
- توصلني على فين !
- عايز الصراحة ولاّ بنت عمها.
- إيه حكايتكم بالضبط ؟!
- ولا حكاية ولا رواية..همة سكتين سكة السلامة وسكة الندامة اختار لك أي سكة.

أعقب ذلك ضحكة طويلة منفرة.. سألته ساخطاً متبرماً وقد بدأ الفأر يلعب في عبي:

- انتم مين وعايزين إيه؟!
- إحنا أصحابك ومن اللحظة دي إنت ضيفنا.
- لو الريس عرف اللي بيحصل هيسوّد عيشتكم.
- وهيعرف منين.

بدأ الشك ينشب مخالبه في وجداني وأنا أجيبه:

- مني طبعاً.
- دا لو شفته تاني.

انقبض قلبي .. تاهت مفاهيمي .. تآكلت معالم نفسي .. " أنا ميت .. ميت يا ولدي " تناوبت على نوبات الغضب ضد النظام..المسئولين..الريس..لا..لا يمكن أن يكون طرفاً في مؤامرة دنيئة تنتهي معها حياتي ومع ذلك فقد سمحت ثغرات نظامه بهذا العبث .. إنها في النهاية مسئوليته .. تملكني الخوف.. ارتجفت أوصالي .. ربما رضا هلال آخر يدفن في حفرة بالمقطم تقام عليها عمارة .. عتاب مر قاسي لنفسي وداخلي يردد " كان لازم أعرف أن الريس لا بيقابل حد ولا بيسمع لصوت حد كلها شعارات زائفة لماذا ركبت تلك المخاطرة؟" تذكرت " إنجي " زوجة صديقي " ريدي " عندما أصم المسئولون عن سماع اتهامها بوقائع فساد لبعض رؤسائها في البنك الذي تعمل فيه .. فلجأت للإدعاء بمعرفتها تفاصيل مؤامرة على حياة الرئيس وكانت الطامة الكبرى .. لم يصدقوا دافعها الكشف عن الفساد وحاولوا نزع اعتراف منها.. أودعوها في زنزانة تطفح بالمجاري تنام فيها واقفة .. فإذا أغفت لحظة تنهش جسدها الفئران .. وخرجت من المحنة وشها في ظهرها !! لتقابلها محنة أخري أشد وأقسي فقد أستلب التعذيب إنسانيتها وفقدت ذاكرتها .. نسيت

نفسها .. أسمها وجنسها. هامت في الشوارع وهـــي تحـــاول إقناع الناس بهدفها النبيل..تذكرت كل ذلك والسيارة تسير في شوارع مظلمة .. خالية من الأنس والجن .. أحـــاول إلقـــاء اللوم على نفسي بقسوة .. كنت أستطيع أن أنفذ ما أريده دون أن التقي بالرئيس ودون أن أتورط في هذا المأزق وأنا أسير بقدمي لحتفي .. كان عليّ أن أفهم أن لقـــاء الـــرئيس بأحـــد المواطنين مستحيل لأنه سيكشف له عن وجه المجتمع القبيح الذي يزينه له معاونوه بالمكياج والمساحيق .. فالدنيا ربيـــع والمشكلة كامنة فيهم أي في الناس فهم يتوالدون كالجرذان..

مضغت كل تلك الهواجس والسيارة تتوقف بي أمـــام فيلا فخيمة .. هبطت من السيارة ويد القميء تتأبط ذراعـــي إلي داخل الفيلا .. تركني القميء للحظات قصيرة إلي حجرة طرق بابها .. دخل .. عاد إلي من جديد يتأبط ذراعي إلـــي دواخل الحجرة .. استقبلني رجل مهيب في ود وترحـــاب .. طلب مني في استحياء أن أجلـــس .. دق الجـــرس.. دخـــل ساعي .. سألني المهيب:

- تشرب ساقع وللاّ سخن؟

رددت عليه في ضيق مكتوم:

- أحب أعرف الأول أنا هنا ليه؟
- أشرب وبعدين نتفاهم.

أشار إلي الساعي همهم:

- عصير جوافة يا ساهر.

عصير جوافة! .. سنتك سوده يا ضمير رحت في أبو نكله .. لقد تذكرت على الفور عصير جوافة عبد الحكيم المسمم .. تخايلت على اللحظات التي سأمر بها وأنا أتعذب قبل أن اصبح جثة هامدة .. انكمشت في مقعدي وساهر يدخل وبيده صينية فوق سطحها كأس العصير والمهيب يحثني في نبرة تآمرية:

- إشرب .. إشرب!!

أمواج الشك تلطمني وأنا أتأمل كأس العصير والمهيب من جديد يلح على قائلاً:

- إشرب دا عصير جوافة فريش.
- ما هو كان فريش!!

تزايد خفقان قلبي .. خلت أن المهيب يسمعه .. ظهر التردد على ملامحي وأنا أبعد الصينية عن متناول يدي والمهيب يسألني في استرابه:

- إنت فاكر أنه مسمم؟
- لا أبداً .. أصل أنا عندي حساسية ضد الجوافة.
- تبقي عايز قهوة مضبوط.
- لا مضبوط ولا سادة .. كل اللي أنا عايز أعرفه أنا هنا ليه.

أعتدل المهيب في جلسته .. رمقني بنظرة ثاقبة خلت إنها ثقبت مكنوني رد علي قائلاً:

- كل ما في الأمر بعض أسئلة روتينية أريد منك الإجابة عليها.

سكت وكأنه يحاول استكشاف دواخلي .. سألني فجأة:

- إنت عايز تقابل الريس ليه؟

تملكني الزهو وربما قليل من الغرور وأنا أجيبه في صلف:

- ودخل سيادتك إيه .. هو أنا لما حددت معاه الميعاد كنت طرف.
- بالهداوة يا أخ ضمير .. دى مجرد إجراءات أمنية.
- ممكن تسأله هو أدري مني.
- إنت هنا قدامي عشان أعرف منك سبب الزيارة.

- لو الريس عرف عمايلكم معاي هيكون الحساب عسير.

أخرج المهيب ملفاً من مكتبه بداخله ورقة واحدة .. شهره في وجهي قال في غضب جامح:

- شايف الملف دا جواه ورقة واحدة .. ممكن تبقي ورقتين .. ثلاثة .. عشرة .. ساعتها لا تشوف الريس ولا تكلمه.

إنه صادق في تهديده .. يعملها .. تراجعت تسعين درجة وأنا أرد عليه في تخاذل:

- طلبت لقائه عشان بحبه.
- عبيط وللاّ شكلك كده؟!
- هو فيه سبب للقاء الريس أقوي من الحب.
- يا أخينا أنا لا بحب اللف ولا الدوران.

ساعتين في جدل عقيم .. صارحته بالحقيقة كاملة دون أن تظهر على ملامحه أنه اقتنع بأسبابي .. دق الجرس دخل علينا الحارس القميء .. تأبط ذراعي من جديد .. انتابني الذعر والمهيب يشير إليه إشارة مبهمة برأسه المفلطح ترجمتها على الفور وهو يسحبني إلي ردهة طويلة.. إنه في الطريق لتصفيتى بدنياً .. داخلي يردد " جالك

الموت يا تارك الصلاة .. ربي إني لا أسألك رد القضاء بلا اللطف فيه ".. مرت لحظات كأنها دهر كامل وأنا أسير بجواره مثل فرخ مذبوح .. اخترقنا الردهة صعدنا درجتين إلي حجرة فتح بابها دفعني في غلظة زاعقا:

- اتلقح هنا لغاية الصبح.

استيقظت على يد تهزني وصوت مبحوح:

- قوم إصحى.

أمامي رجل وخط الشيب سوالفه يتمتم لي في ود ظاهر:

- الفطار جاهز.

سكت عاد مستطرداً:

- لازم تجهز قبل الساعة عشرة.

قذف بي من جديد داخل بحر من الهواجس .. لقد حانت ساعة قصف عمري .. سألته في تخاذل:

- وكمان حددتم ساعة دفني.
- دفن إيه يا أستاذ .. أنت نسيت ميعادك مع الريس.

حلقت بجناحي الأمل وأنا أردد في هوس:

- هو أنا صحيح هقابل الريس.
- كلها ساعتين زمن.

أفطرت .. أسرعت لارتداء بذلتي .. لم أعثر لها على أثر سترة أخري شيك مكانها .. ارتديتها لم أكن أعرف أنها مجهزة بأجهزة تصنت. الساعة العاشرة كنت أستقل سيارة سوداء نامت هواجسي والسيارة تلهث في شارع صلاح سالم .. الزجاج فيميه والتكييف شغال على أشدّه .. يا سلام على الأبهة والعظمة .. حسدت هؤلاء الناس الذين يستقلون مثل هذه السيارات الفارهة .. لقد أتوا على اللحم ولم يتركوا لنا سوي الشغت !! السيارة لا تسير على الأسفلت الأسود بل تطير .. تحملها طبقة من الهواء وربما طبقة زئبقية .. توقفت السيارة .. تنفست الصعداء .. في مواجهتي باب القصر .. مصفح مدجج بالعسكر .. لحظات انفتح بعدها الباب ضابط عظيم يستقبلني.. يرفع يده بالتحية وصوت أحد الجنود يعلو وأنا أعبر البوابة:

- حرس سلاح!!

صفين من العسكر يؤدون التحية العسكرية .. ماذا يحدث .. أكيد فيه خطأ فأنا لست سوي مواطناً عادياً ..

مجرد ضمير فلماذا كل هذا الاحتفاء؟! أسئلة كثيرة ضـــجت بها نفسي والضابط يصحبني عبر حـــدائق فيجـــاء تزينهـــا قصارى زرع وتماثيل وتحف من كل الأحجـــام والأشـــكال وأقفاص قرود ونسانيس وغزلان ربما بشر بعد أن انمسخت .. أبطأت خطوي .. ما أراه فاق في روعته خيالي الجـــامح .. ثراء جمالي يعجز القلم عن وصفه .. ابتسمت وخـــاطرة تلوح على عقلي .. هذه هي الجنة التي يمكن أن يختارها الله لعباده الطيبين من أمثالي !! طال تأملي فيما أري من بـــذخ النعم .. أخذتني شردة طويلة الأمد عن ثراء هـــذه الحديقـــة الوارفة الظلال.. كل ما فيهـــا مـــن نبـــت وشـــجر وورود وممرات يكاد ينطق بهذا الثراء !! ســـرت خلـــف الضـــابط العظيم من ممر إلي آخر حتى وصلنا إلي القصر .. تسمرت قدماي يا هول ما أري .. ربما تخدعني عيناي .. أغمضتهما ولما فتحتهما تأكدت أن ما أراه ليس خداع نظر .. فواجهـــة القصر تتلألأ ربما بالذهب الخالص .. ربما بمعـــدن آخـــر أجهله .. لا أدري إلا أنني أمام تحفة رائعة مدخلها معـــرق بالرخام الأخضر.. وسلالم طرزت أطرافها بنحاس منقوش.. ومشايات تغوص فيها الأقدام .. تجرأت ودخلت القصـــر لا

عين رأت ولا أذن سمعت .. لو أخبرني أحد أن هذا القصر سكن الإله لصدقته على الفور .. فخامـة ووجاهـة وثـراء وجدران مثقلة باللوحات وتماثيل وتحـف تـزين الأركـان وثريات معلقة يشكو السقف من ثقلها .. أعمدة رخامية مثـل تلك التي نراها في معابد قدماء المصـريين .. الأرضـيات رخام أخضر مجزع فرشت بسـجاد عجمـي .. عجبـي .. عندما وطئت قدمي أول سجادة صرخت مهددة " إقلع جزمتك " فور سماعي تلك العبـارة توقفـت .. خلعـت حـذائي .. ضممته بيدي والضابط مندهش لتصرفي الأحمق يسألني في ضيق مكتوم:

- إيه اللي بتهببه دا ؟
- سمعتها .. السجادة بتتكلم عربي!!
- سمعت الرعد في ودانك .. البس الجزمة.
- إزاي وهي اللي طلبت مني أخلعها.
- عَندها حق مين كان يصدق إن واحد زيك يمشي عليها.

لقد انقلب الرجل على انقلابة هائلة لا أعرف سببها هو لا يدرك ما أحمله من احترام وتبجيل للجمال .. فالسجادة لا يمكن لقدم حافي أن تطأها فما بالك بالحذاء وهـو أيضـاً لا

يعرف أنني من أبناء الفرن الحامي نقدس الأماكن فنخلع أحذيتنا عند عتبة الباب.. رأي ترددي في لبس الحذاء .. زعق للمرة الثانية:

- البس .. عايز تقابل الريس وانت حافي!
- فيها إيه!

شاط الرجل .. التقط الحذاء .. قذف به إلي صرخ من جديد:

- البس .. شكلك كده عايز تتضرب بيه بعد انتهاء الزيارة.
- هي فيها ضرب؟!
- ويمكن فتح دماغ.

صرخ من جديد:

- عايزني " أكنسل " المقابلة.
- بخ..بخ.

أكملت مسيرتي من البهو الواسع إلي آخر أقل وسعاً إلي ثالث أقل ضيقاً وأخيراً انتهينا إلي هول صغير مؤثث بصالون فاخم لا يمكن تسميته صالون بل لا بد من اختراع

اسم له يتناسب مع فخامته وقيمته.. ثالون بالثاء من الثراء.. أو ثامون كلمة تجمع بين الثراء "والمون" القمر .. ظلم أن نطلق عليه كلمة صالون الشعبية .. الضابط من جديد يهمهم في وقاحة:

- اتلقح هنا لغاية ما أطلبك.
- فين؟

لم أكن لأتصور أن يكون مكان جلستي أحد مقاعد الثامون لكنه أجابني بسرعة بديهة:

- على أي كرسي قدامك.
- قدامي فين؟
- إنت عميت!
- فعلاً أنا عميت لأن اللي أنا شايفه أي حاجة غير إنها توصف بالكرسي.
- بلاش فلسفة واترزي.

فعلاً اترزيت لكن في أحد الأركان بجوار مقعد وثير..في جلستي تلك ظللت أتحسس المقعد كما أتحسس صدر عذراء في لذة ونهم وأنا أناجيه "يا حبيبي يا قرة

عيني.. كيف أُبدعت بهذه الفخامة ومن وضع فيك كل هــذا الجمال وكم تكلفت ومن دفع ثمنك الباهظ؟! ".

مر على قرفصتي بجــوار المقعــد ســاعتان دون أن أستشعر ببادرة تنبئ عن قرب لقاء الرئيس .. فجــأة دخــل عرفي.. د. عرفي متجهماً عينــاه تطــق شــرار أســرعت بالنهوض لتحيته .. رمقني شذراً .. لم يصافح يدي الممتــدة .. سألني بلا اكتراث:

- بتعمل إيه عندك؟!
- بقي مش عارف ؟!
- عارف إيه.. قدامي واحد لا شفته قبل كده ولا أعرفه.

حادثت نفسي .. يا واد لم الموضوع.. رددت علية فــي برود:

- جاي أقابل الريس.

ابتسم .. الابتسامة خبيثة .. مقلقة استطرد بعدها قائلاً:

- خير؟
- ثاني؟

قلتها في تبرم .. رد على في ضيق مكتوم:

- هو كان فيه أول لما يبقي فيه ثاني؟!
- كان فيه وحياتك ثاني وثالث.
- معلهش انقل على الرابع عشان خاطري.
- جاي أقابله عشان بحبه.
- وهو دا سبب مقبول .. عندنا سبعين مليون واحد بيحبوه يبقوا يقابلوه!
- ما أنا ضمير الناس دي كلها.
- ولا حتي ضمير العالم كله.
- يا دكتور عرفي أنا متفق مع الريس .. الأمر منتهي.
- لو زي ما بتقول يبقي أنا أروح أقشر بصل.
- تقشر بصل .. تقشر ثوم .. إنت حر.
- لازم أعرف سبب المقابلة .. هي شخصية وللاّ عامة؟
- إللا هو انتم محفظين بعض.

حل الصمت .. طالت أحباله .. قطعها عرفي قائلاً:

- شكلك كدة مصمم تقابله.
- بعد اللي شفته منكم .. أيوه.
- هو انت لسه شفت حاجة.
- يا نهار أبوك أبيض بوية.

- قل لي على سبب واحد مقنع لمقابلة الريس.
- عايز أنصحه.
- قلت ماذا؟!
قالها مخضوضاً:
- قلت انصحه.
- بتتكلم عن مين ؟
- عن الريس طبعاً.
- هي هزلت!! أنت عارف في معيّته كام مستشار.
- بيخدعوه .. بيغشوه.
- اللاّ .. هتبتدى تخرف.
- مش تخريف .. لو كانوا صادقين معاه ما كانش دا يبقي حالنا.
- حالنا ماله..زي الفل..الناس بتاكل فول وطعمية وبصل وبالليل تفسي وإحنا نشم.
- بعد ما سديتم كل خرم ما بقاش قدامهم غير كده.
- أكيد مبلبع.
- الهم وحياتك زي كل الناس.
- طلعت لي منين يا أبو لسان زالف.

في تلك اللحظة تناهي إلي سمعي ضـــجيج .. أحـــدهم يدخل مهمهماً!

- الريس .. الريس.

أخيراً رأيته .. عيني عليـــه بـــاردة.. وجـــه مشـــرب بالاحمرار من شرب الحلويات !! نهضت.. صافحني .. هل حقاً ما أراه الرئيس بشحمه ولحمه.. مبهـــور .. راح منـــي الكلام .. نسيته وهو يتجه إلي مكتب يتصدر الحجرة يجلـــس خلفه .. يتملاني بعينين مستطلعتين .. شغوفتين .. يســـألني في فضول :

- خير؟

نظرت إلي عرفي ثم إلي الـــرئيس .. النظـــرة كلهـــا استجداء .. فهم الرئيس المعني والمغزي .. اشـــار لعرفـــي قائلاً:

- سيبنا يا عرفي.

رد عليه معترضاً:

- لكن يا ريس.
- انت سمعتني؟

عرفي يطأطئ رأسه المنبعج .. رأيتها متدليةً بين كتفيه .. خرج غير مأسوف عليه طالت أذنيه كلمات الرئيس:

- واقفل الباب وراك.

فور أن أغلق عرفي الباب بادرني الرئيس بقولته:

- أهو بقينا لوحدنا .. إتكلم.

حاولت التماسك .. استعادة نفس الهاربة مني وأنا أرد عليه متلعثماً:

- أتكلم إزاي يا ريس هو أنا قادر أتلم على نفسي.
- ليه؟!
- المفاجأة .. لآخر لحظة لم أكن أصدق أنني سأحظى بهذا الشرف العظيم.
- والآن؟!
- أفضل حالاً.

أحس بما أعانيه .. بدأ معي حديثاً طويلاً عن أسرتي وأولادي وفي الوقت الذي كنت أجيب عن أسئلته بدأت أستعيد نفسي المبعثرة .. على هذا الحال مر الوقت .. لم أشعر بمروره تفتتت حصوات الرهبة من حالب إرادتي .. بدأت أحادث الرئيس كأي إنسان عادي. أسمع نكاته التي لم أفهمها وابتسم!! تعودت على الموقف وتأقلمت مع مجريات الحديث وحانت لحظة الحقيقة وهو يسألني:

- إيه اللي فكرك بالريس؟
- كنت أريد الاطمئنان عليه.
- التليفون كان كفاية.

- الصوت غير الصورة الحقيقية.
- وبعد ما شفتني؟
- لو كان دا السبب الوحيد يبقي أنا رجل مهفوف.
- أكيد عندك أسباب أخري.
- دون أن يمسني مكروه.
- كلام فارغ.
- يعني صراحتي لن أضار منها.
- إطلاقاً.
- هو موضوع واحد تسمح لي أتكلم عنه.
- مش محتاج إذن عشان تتكلم.
- لكن!!
- ماتلكنش أنت هنا في أمان.
- هو موضوع شاغل الناس كلها.
- من غير مقدمات.
- إلي متى سيادتك في موقعك؟
- إلي أن يشاء الله.
- اسمح لي أقول لك هذا كلام غامض.

- شوف الناس وهي بتستقبلني عشان تعـرف إن كلامـي صح الصح.
- الناس اللي سيادتك بتشوفها هي اللـي بتكـنس بـلاط السلطة.
- كلام غريب لأول مرة أسمعه من مواطن!
- عارف يا ريس سبب بلاوينا المسيحة.
- إذا عرف السبب بطل العجب.
- المحيطين بك.. أقصد معاونوك.
- شأنهم إيه في اللي بيجري.
- عملوا من البحر طحينة.
- إمال هو إيه؟
- هو ماء مالح لا يصلح للشرب.
- هات من الآخر.
- الناس قرفت .. عندها إحباط .. متضايقة.
- من نفسها .. طول ما هي قاعدة تخلف زي الأرانب.
- تواك ما افتكرت.
- ياما و ياما حذرتهم.

- مشكلتنا يا ريس إننا بنطنش قضايانا ولا ننتبه لها إلا بعد استفحالها وأولهم سيادتك".
- ماله سيادتي ما أنا هو زي الفل.
- زي الفل وعشرة .. لكن آن الأوان.
- أوان ماذا يا هذا.
- أوان الرحيل!!
- اتخبلت .. عايز تخربها وتقعد على تلها.
- هي طريقة واحدة للإنقاذ.
- مستحيل وعندي خططي .. ابني هو وريثي الشرعي.
- لكن سيادتك قلت بعظمة لسانك إنه لا توريث للحكم.
- فيه دستور وابني زي أي مواطن له حق ترشيح نفسه ولا يستطيع أحد أن يحجب عنه هذا الحق.
- لكن الدستور فاسد وفساده يسمح بالديكتاتورية.
- بلاش الكلام الضخم واتكلم على قدك.
- هي دي الحقيقة إن نظامنا أساسه دستور ديكتاتوري.
- ليه نقفز للمجهول .. مش جايز يكون حظ إبني أفضل من حظي في علاج مشاكل المجتمع.
- الكتاب باين من عنوانه!

- وعنوانه؟!
- فكره لم يقدم جديد .. بل اصابنا باليأس والإحباط في أول مهمة أوكلتها له.
- إزاي دا حصل ؟
- أولاً أعطي ما لا يملكه لمن لا يستحق وهو يبيح البناء على الأرض الزراعية وثانياً وهو يلغي بعض الأوامر العسكرية التي لا تمس حياة المواطن وأخيراً وهو يعدل مسميات بعض المحاكم .. وكلها أمور لا تدخل تحت عنوان الإصلاح السياسي بل هي مجرد تغيير في أضلاع أشكال هندسية لكن مساحة الديكتاتورية كما هي.
- وماذا كنت تريد منه أن يفعل؟
- أن يتبنى إلغاء قوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية وأمن الدولة وتعديل الدستور.
- أنت لا تطلب إصلاح حال الناس ..بل تنادي بزلزال يهز المجتمع من جذوره.
- يا سيدي ماعاد يصلح سياسة الخطوة خطوة.
- بل هي سياسة التغيير الآمن الذي لا يحمل مخاطر القفزات الحادة.

- لهذا أصبحتم في وادي والناس في وادي آخر.
- هي الناس عايزة إيه غير لقمة وهدمة وسُكّنة.
- لا يا ريس الناس عايزة أكثر من مطالب البقاء على قيد الحياة .. الناس مطلبها الحرية.
- أظن لا يوجد بلد عربي فيه حرية مثلنا .. السعودية مثلاً .. همه فين وإحنا فين.
- عشان الفروق الحضارية بيننا .. إحنا بنطالب بالحرية وهمه مازال قدامهم سنين وسنين.
- يا ضمير مطلبك ليس الحرية .. بل الفوضى.
- عايشنها يا ريس .. الفساد فوضي .. النهب فوضي.. حصانة المسئولين فوضي .. الثراء الفاحش والفقر المدقع فوضي .. تخصيص الأراضي والقصور للرؤساء وأولادهم فوضي.. البناء على الأرض الزراعية خلل يؤدي إلي فوضي .. كذب المسئولين على المواطنين غش وخداع ينتهي إلي تدعيم الفوضى.. تعذيب المواطن في أقسام الشرطة إخلال بحقوقه واحد من أذرع إخطبوط الفوضى .. سجن الرأي فوضي .. حبس رئيس حزب دون مبرر قانوني أعلي مراتب

الفوضى .. العجز عن تحديد مصير صحفي اختفي فجأة فوضي .. حبس الكتاب من أجل إبداعهم تأكيد لمراسم الفوضى الضاربة أطنابها في المجتمع. هذه كلها أمثلة حية للفوضى أما أكثرها حدة فهو البقاء في منصب الرئيس لأقرب الأجلين الوفاة .. أو الوفاة.

- كده تبقي تعديت حدودك.
- عشان اختلفت معاك حول مفهوم الفوضى أبقي تعديت حدودي!
- لا لأن كل اللي ذكرته مشاكل طارئة تواجهها كل المجتمعات المتخلفة.
- لكن المشاكل دى أزمنت وتحولت بالتالي إلي وباء والوباء دون علاج يحدث فوضي.
- ما إحنا هو بنحاول.
- لإمتي؟!
- لغاية ما تتحل.
- دا إذا كان في الأفق بادرة واحدة على الحل.
- اتهام ظالم .. امال إحنا بنغير الحكومات ليه.
- لما يبقي الإطار فاسد يبقي حرث في البحر.

- في الجو في البحر .. هي دى إمكانياتنا .
- يا ريس لا بد لنا أن نتفق على ما يترسمه النظام من خطوط عريضة لتشكيل المستقبل.
- أنا سامعك.
- ولا بد أن نتعرف على هدف هذه الخطوط العريضة.
- اتكلم .. فقعت مرارتي .
- الهدف الأول لهذه الخطوط العريضة هو الحفاظ على الكرسي والهد ف الثاني تأمين الجالس على الكرسي بعد تركه لمنصبه بإحلال رئيس أخر تابع له.

ضحك الرئيس .. رد في سخرية:

- كل هذا لماذا؟!
- الأخطاء جسيمة لو تكشفت لحدثت ردة ضد كل شخص تولي مسئولية هذا الوطن وليس بمستبعد أن تتم محاكمته كما حدث مع صدام.
- حتى لو استنتاجك صح .. فماذا بعد ؟
- بعد هذه تحديدها يعود إليك .. بادرة تقوم بها توقف جميع مظاهر الفوضي.
- محتاجه بلدوزر.

- والبلدوزر موجود لكن مدفون.
- فين هو دا ليمني عليه.
- إرادة الناس.
- سيبك بقي من الهجايص دي بلا إرادة بلا زفت .. فين هي إرادة الناس وهمه مش قادرين يمسكوا عنه الخلفة .. الواحد من دول يخلف له عشرة وبعدين يقول الحقنا .. ما كان من الأول يا جحش عامنوّل.
- يمكن أنا متفق معاك أن المواطن الجائع يصبح فاقد الإرادة أمام الحصول على لقمة العيش.
- شفت . طلع كلامك كله فِشنك.
- لكن ليس معني هذا أن الإرادة مستحيلة .. زي ما قلت لسيادتك أنها مدفونة وعشان تخرج لازم نحفر ونحفر.
- إنت ناوي تجيب حفار .. مش يمكن يطلّع بدل الإرادة جاز.
- يا ريس لا تسخر من حديثي فما أقصده أن إرادة الناس مدفونة وعشان تخرجها لازم نحفر ونتعب لغاية ما نطلعها سليمة. والحفر اللي أقصده هو الديمقراطية.
- ياه .. دا أنت تعبتني قوي معاك.

- وهذا لن يتم إلا بمساعدة الدول الكبرى وخاصة أمريكا.
- الناس تكره أمريكا.
- لأنها تنادي بدمقرطة النظم الديكتاتورية أم لأنها تجتث جذور الإرهاب المتنامية في المجتمع المسلم؟!
- أنت مثل كثيرين غيرك موهوم في هدف أمريكا الذي لا يخرج عن كونه استعمار جديد للشعوب العربية.
- مثل هذا الكلام يصلح خطاباً في القرن ١٩ أو العشرين أما الآن فقد حل استعمار جديد أكثر قسوة وأشد ضراوة وهو استعمار الأنظمة الديكتاتورية لشعوبها .. الفرق أن الاستعمار الأجنبي واضح سافر على كل مواطن مقاومته أما الاستعمار الجديد فهو مستتر متخفي تحت ستار المواطنة .. فالمستعمِر والمستعمَر يجمعهما وطن واحد مثل هذا الاستعمار سرطان ينتشر في جسم المجتمع في سرعة رهيبة لا يفطن المريض لخطورته إلا بعد فترة طويلة يستشري خلالها المرض ليصبح البتر معه أمراً حتمياً ولأن عملية البتر غير مأمونة العواقب فيجب أن تتم على يد جراح ماهر لديه دراية تامة بالمرض وأبعاده وآثاره.

قاطع الرئيس حديثي غاضباً:

- مقارنة ظالمة .. فكيف يتحول الحاكم إلي مستعمر غازي وهو ابن الوطن .. فرد من أفراده.
- يا سيدي الرئيس في ظل العولمة والنظام الجديد وإرادة الشعوب لم يعد يوجد ما يسمي بالاستعمار الصريح .. بل صورته الآن الاستعمار المحلي وهو ما نراه بأعيننا على الساحة فالاستعمار تغير مفهومة من استعمار مكاني إلي استعمار إرادة وهذا ما حدث في العراق وما يحدث الآن في معظم الدول العربية إطاره بقاء الحكام في مناصبهم ضد إرادة الشعوب واستغلال تلك الإرادة أو تطويقها أو حبسها. دلني على حاكم عربي واحد منتخب من شعبه .. دلني على حاكم واحد لا يحبس إرادة شعبه في قمقم.
- ابتديت تخرف يا ضمير .. كلام لا دليل عليه يوديك في ستين داهية.
- دع الحقائق تتكلم في بلدنا من خلال سؤال أين يذهب دخل قناة السويس من العملة الصعبة؟
- أحد بنود الصرف الأساسية على المواطن.

- هو فيه أصلاً بند في الميزانية اسمه المواطن.
- قصدك إيه؟!
- اللي أقصده إن عائد قناة السويس يتم تخصيصه لرئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية.
- لمّ لسانك يا ضمير أحسن والله أقطعه لك.
- آسف يا ريس .. أحياناً بياخدني الحماس والغيرة على الوطن وانسي تماماً إنني أمام حاكم له على البشر حق الحياة والموت.
- أيوه كده صلح أمورك واعرف مقامك.. برغوث ممكن أفعصه لو حاول يلدغ.

سكت عاد مستطرداً في تفاؤل غريب:

- عموماً أنا ابتديت استريح لك ولصراحتك فلأول مرة أجد مواطناً يواجهني ولا ينافقني.
- تقصد أن معاونيك ينافقوك!
- ليس هذا بالضبط..لكن ربما لا يريدون إزعاجى بإثارة مشاكل هم أقدر علي حلها.
- سؤال دائما يخطر على بالي وبال المواطنين .
- عن إيه؟

- مرتبك الذي لا يغني ولا يسمن من تكاليف الوظيفة.
- قلتها بعظمة لسانك.شوية ملاليم يحصل على أضعافها رئيس تحرير أي صحيفة قومية.
- لكن نسيت المخصصات الرئاسية البذخة.
- أولاً هي ليست بذخه.. ثانياً هي تقليد متبع منذ الثورة المجيدة .
- بدون حدود قصوي؟!
- مش فاهم قصدك .. يعني إيه بدون حدود قصوى .. هي مصاريف ضرورية للرئاسة لازم نصرفها وللاّ عايزنا نشحت .. إن ما تنفقه مؤسسة الرئاسة أقل بكثير مما تنفقه سيراليون .
- قصدك أقل من ميزانية سيراليون.
- كلام خايب لا يودي ولا يجيب

قالها الرئيس غاضباً محتداً.

- يا سيدي الرئيس إنني لا اقصد إغضابك فأنا أحبك !!
- يعني نازل عليّ بكلامك الماسخ عمّال على بطّال وفي الآخر تقول لي بحبك .. يعمل إيه حبك في اللي بتقوله؟!
- الحب يغفر الذنوب جميعاً.

- هات من الآخر.
- دكان الفساد تحول إلي سوبر ماركت يبيع كل مفرداته.
- إفتي فقد منحتك أمان الكلمة.
- معظم المسئولين كوّشوا و كرّشوا وحوّشوا والرئاسة تغض الطرف عن فسادهم.
- كلام معمم يحتاج إلى تحديد وذكر وقائع فنحن لم نغض الطرف ولم نتسامح مع أي حرامي بل نقف لهم بالمرصاد والدليل على ذلك محاكمة وزيرين في وقت واحد.
- تم تبرئة أحدهما.
- هو القضاء وشأنه فنحن لا نتدخل في أمور القضاء .
- لكن القانون نفسه يسمح للحاكم العسكري والذي يمثله الرئيس بإلغاء أو تعديل أحكام محاكم أمن الدولة وهذا في حد ذاته يعتبر تدخلاً في أعمال السلطة القضائية وإهداراً لمبدأ فصل السلطات.
- مثل هذا التدخل إذا حدث فهو استثنائي.

- بعد أن أصبح الاستثناء هو القاعدة العامة والعـــام هـــو الاستثناء بات تدخل السلطة التنفيذية في أعمال الســـلطة القضائية سافراً بدءاً من الاتهام وانتهاء بالأحكام.
- إنقل على موضوع آخر فأنا أكره ترديد الببغاوات.
- نعود إلى البذخ الرئاسي.
- لقد أنكرت تماماً مثل هذا البذخ في معرض حديثي عن إنفاقات مؤسسة الرئاسة.
- ما رأيك إذن في المواكب التي تتبعك أثناء تنقلاتك.
- الغرض منها نبيل وهو تأمين حياتي.. أم أن لـــك رأيـــا آخر؟!
- حياتك نفتديها بدمنا وأرواحنا .. لكـــن لا يـــدخل فيهـــا تعطيل مصالح الناس فتغلق شـــوارع بأكملهـــا ويجنـــد الآلاف من رجال الشرطة مرصوصين مثل قوالح الذرة على الأرصفة والنواصي.
- من ناحية تعطيل مصالح الناس فهذا القول مغالى فيه .. هي كام مرة بتحصل في السنة اثنين .. ثلاثة .. أربعـــة .. عشرة .. وبعدين انت نسيت إن الناس لا وراها شغله ولا مشغلة أهي بتفرّج عن نفسها .. أما موضوع تجنيد

رجال الشرطة لمثل هذه المهمات فهذا أفضل من نومهم داخل الخيام والمعسكرات!!

- لو كان الموضوع قاصر على مواكب الرئاسة كنا بلعنا شوكته لكن دي مواكب عشرات المسئولين والـــوزراء .. كل هذا من أجل ماذا؟!

- هؤلاء الذين تتحدث عنهم بسخرية هم من يوفرون لـــك الراحة والأمان ولقمة الخبز تقوم تستكتر حمايتهم مـــن الدهماء !!

- ومصالح الناس ؟! .

- إنت كده بتضخم الأمور .. فين وفين لما يمـــر موكـــب لواحد مسئول.

- ياريس الناس زمزأت مـــن إســـاءة اســـتعمال الســـلطة والمواكب إحدى صورها.

- مع أنه لم يصـــلني شـــكوى واحـــدة بخصـــوص هـــذا الموضوع.

- الإحجام عن تقديم شكوى لا يعني إنتفاء الضـــرر بـــل يعني في المقام الأول اقتناع الناس بعدم جدوى ما يقـــدم من شكاوى.

- واضح أنك تشكك في مصداقية اهتمامنا بالناس.
- العفو ياريس ما قصدته هو عدم الاهتمام بعرض مشاكل المواطنين عليك.
- وكيف وصلت إلى هذا الاستنتاج الخاطئ؟
- لأنني كنت واحد من ضحايا المواكب.
- كيف؟!
- تم إغلاق شارع صلاح سالم لمرور أحد مواكب الرئاسة مما ترتب عليه فوات ميعاد لحاقي بالطائرة المتجهة لأسبانيا وهو ما دفعني إلى اتخاذ الإجراءات القضائية لرفع دعوى ضد مؤسسة الرئاسة لكن للأسف جانبني التوفيق.
- والسبب؟
- امتنع قلم المحضرين عن تسلم إعلان الدعوى ولما تقدمت بشكوى لوزير العدل تم حفظها.
- لو وصل إلينا صوتك ما توانيت عن بحث الموضوع.
- وكيف يصل إليكم وأمامه سد هائل من العراقيل يضعها معاونوك.
- هذا اتهام لا دليل عليه.

- دليله المائة رسالة التي أرسلتها لأطلب لقائكم ولم تقرأ منها واحدة.
- للمعاونين حرية تقدير ما يعرض عليّ من أمور كل حسب أهميته فليس من المعقول أن أقوم بفحص مئات الشكاوي المرسلة لرئاسة الجمهورية وكأنه ليس لي شاغل سوي هذه الشكاوي.
- هذه الشكاوي التي تحجب عنك هي التي تعبر عن تدهور حالنا من سيئ إلى أسوان!!
- إنتم عايزين إيه .. بطّلوا خلفة وكل الأمور تتحسن فلو سكّت النسوان باب الأرحام ما حدث هذا التزاحم على الحياة .. تصور بقي حالنا في ظل عدد سكان ثابت منذ الثورة المبروكة .. كنا عشنا في نغنغة.
- رغم هذا يا سيدي الرئيس فاللوم لا يقع على المواطن بل النظام الذي فشل حتى الآن في منع جريمة بكل المقاييس .. تأثيرها أخطر من تعاطي المخدر الذي يضر صاحبه فقط فتصيب المجموع بأبلغ الضرر في صحته وتعليمه ومواصلاته وسكناه ولقمة خبزه والسؤال ماذا فعلتم أنتم لمواجهة هذه الجريمة الشاملة الخطيرة ؟!

- يوه .. ما أكثر مراكز تنظيم الأسرة التي تدعو المواطنين إلى اعتناق ثقافة تحديد النسل وما أكثر برامج التليفزيون التي تحذر من التمادي في الإنجاب.
- ليس هذا كافيا.
- يعني كنا نعمل إيه .. نخصيهم !!
- كان يجب اتباع سياسة الإثابة والعقاب .. اللي يخلف اثنين فأكثر نكافئه واللي يزود عن هذا الحد نعاقبه.
- نعاقبه لأنه يمارس حقه المشروع في الجنس!!
- لا لأنه بيرتكب جريمة الإنجاب لأكثر من إثنين.
- إنت عايز تؤلب علينا الأزهر ورجال الدين والمتطرفين .. هي ناقصه !!
- ليه يا ريس هو أراء حفنة من الناس أهم من مصلحة المجموع.
- سيهدمون المعبد على رؤوسنا ورؤوسهم وبعدين إنت نسيت نصوص الدستور التي تحرم ما تنادي به.
- نغير نصوص الدستور .. فإذا كانت حياتنا وحياة أولادنا معرضه لخطر داهم .. طوفان قادم فلماذا نتردد في مواجهته .. إننا كثيراً ما نفرض الوصاية على

السفيه وذي الغفلة لمنعه من القيام بتصرفات قد يضر بها نفسه أو مجتمعه مثله مثل هذا الرجل الذي ينجب أكثر من اثنين .. لذلك وجب علينا فرض الوصاية عليه طبقاً للقاعدة الإسلامية " لا ضرر ولا ضرار ".

- سيقابل مثل هذا التعديل بعاصفة هوجاء.
- عاصفة هوجاء لأننا نلجأ لحلول غير تقليدية لمشكلة عويصة مزمنة لقد نفذت الصين عقوبة السجن على من ينجب أكثر من واحد أما نحن فيمكن أن نلجأ لحجب بعض خدمات الدولة من تعليم وصحة ودعم عن المولود الثالث كعقوبة وفي المقابل نحفز كل من يقتصر إنجابه على اثنين فأقل بمكافأة مجزية.
- وهل تظن أن هذا كافي لتحديد النسل.
- إذا لم يجدي ذلك فيمكن الالتجاء للتعقيم الاختياري لفترة محدودة قد تطول أو تقصر حسب جسامة الضرر الواقع على المجتمع والذي يمكن تقييمه بعدد مرات الإنجاب.
- وهل نظن أن رجلاً يوافق على تعقيمه اختيارياً.
- نعم بالإعلان عن مكافأة مجزية.
- مكافأة لمن ..حيرتني!

- كثير من الناس تبيع أو تتبرع بعضو من جسدها مثـل الكُلية أو فص من الكَبد ولن يكون التعقـيم الاختيـاري أسوء حالا خاصة إذا كان عرض المكافأة مغرياً يتجاوز عشرين ألف جنيه.
- تبقي عايز ميزانية دولة.
- بحسبة بسيطة لن يتجاوز إجمالي مـا يخصـص مـن مكافآت عن ما تنفقه الدولة على الزيادة الرهيبـة فـي المواليد وعلى أي الأحوال فهو أفضل كثيراً من تـرك الحبل على الغارب ونحن نتجه بكل ثقلنا نتيجـة تزايـد السكان إلى الانهيار.
- أفكار ثورية مصيرها الثلاجة أمام معارضة شعبية لـن ترحم أحداً.
- يا سيدي الرئيس لقد زج بفصائل السياسيين المختلفة في غياهب السجون وآخرها مهزلة رئيس أحـد الأحـزاب وقصفت أقلام الكتاب وصدرت أحكام قضائية على كـل من حاول نقد ذات الحاكم المقدسة أو أهله أو حتى خدمه .. كل هذا من أجل الحفاظ على كرسي الحكم فإذا كـان هذا هو الحادث مع السياسي أو الكاتب الذي يؤمن بمـا

يقول أو يكتب فماذا عن المواطن الذي يتعمد الإضـــرار بمجتمعه .. لماذا لا يقابل بالحسم وهو يخرب المجتمـــع .. لذلك فمن الضروري سن قانون للتعقيم الاختياري.

- غيره .. اقفل موضوع ضبط النسل بعد أن قتلناه بحثـــاً وانتقل بنا إلى موضوع أخر نصول فيه ونجول.
- التعليم يا ريس.
- أي مرحلة تعني ؟؟
- كافه المراحل بدءاً بالابتدائي وانتهاء بالجامعة ومـــروراً بالإعدادي والثانوي .. كلها باتت حبات مطوّســـة فـــي مسبحة الدين بعد أن أكل منها الدهر وشرب.. بحاجـــة إلى التلميع بصنفرة التحديث وربما الاستبدال.
- لمّع إن شاء الله حتى بورنيش البلاط !!
- هل تعرف سيدي الرئيس ما يعاني منه المجتمع اليوم؟!
- أعرف إنه مصاب بعدد من الأمراض.
- أقصد الحالة التي هو عليها.
- معلوماتي أنه يمر بحالة من الإحباط تسيطر عليه .
- الأدق هو حالة من الشوزفرنيا .. الحكومـــة فـــي وادي والمواطن في وادي أخر.

- وعلاجها ؟!.
- لا يتم هذا إلا بالتوحد بأن تعبر الحكومة عن آمال وطموحات هذا الشعب ولن يتحقق هذا إلا بتفجير ينابيع روح الوطنية في الشباب وذلك بالتركيز على منجزات كفاح الشعب المصري.
- إننا لم نتوانى عن ذلك وأفردنا صفحات لكفاحه ضد الاحتلال الفرنسي والإنجليزي.
- بل كان علينا أن نتناول كفاح الشعب المصري ضد العرب الغزاة.
- موضوع حساس لأننا نعتبر الإسلام فتحاً لا غزواً.
- لكن حقيقة الأمر أنه غزو .. فهل نمجد الغزاة ونشطب من التاريخ سطور كفاح الشعب المصري ضد هؤلاء الغزاة الذين لم يخرج هدفهم عن امتصاص رحيق الزهرة والتنكيل بالمصريين بدءاً من وشم رقابهم وانتهاء بتقصير ملابسهم ومروراً بفرض الجزية المؤلمة على جيوبهم.
- إزاي دا يحصل وأنا ماعرفش !!

- لأنه حدث قبل ميلاد سيادتك بأكثر من ألف عام لكن تم طمس سطوره من التاريخ.
- الحمد لله إنها لم تحدث في عهدي.
- لكن حدث في عهدك أحداث لا يكن السكوت عليها.
- كلام فارغ.
- واقعة قتل الجنرال بدوي ورفاقه التي تم طمسها.
- رغم أن هذه الواقعة لم تحدث في عهدي لكن أكمل !
- دون أن تغضب وتنزل بي أشد العقاب.
- هو فيه حاكم في الدنيا يقدر يعاقب الضمير.. تكلم.
- المواطن البور سعيدي قتل خطأ بأيدي الحراس وكان يحمل بيده شكوى !
- إنت كده خرفت.
- ابن المستشار قتله الحراس أمام بوابة القصر بناء على تعليمات.
- هل تتهمني بالتواطؤ؟!
- قطع لسان من يجرؤ على التفوه بذلك لكنني أسرد وقائع.
- غيره.

- لواء وابنه قتلا رغم أنهما استسلما عندما هاجمتهم قوات الشرطة.
- رايح على فين؟
- والصحفي رضا هلال الذي اختفي فجأة وكل أصابع الاتهام موجهة للشرطة.
- خلصت؟!
- واغتصاب الطفل المصري على فخذيي مدير التعليم السعودي تم احتواء مشكلته مجاملة للنظام السعودي.
- كان لتصرفنا أسبابه فالاحتجاج كان يعني طرد مليون مصري يعملون في السعودية.
- بل السبب الحقيقي أن الإنسان المصري فقد كرامته داخل بلده على يد جلاديه..وبره زي جوه.
- ما تشوف لنا موضوع آخر نتكلم فيه أهم من هذه السفاسف !!

سكت الرئيس عاد مستطرداً:

- ألا تخاف مني ؟
- وهو فيه حد في البلد لا يخاف على مصيره من غضبة النظام.

- كيف تقول ذلك في عهدي أنا عهد التسامح ؟!
- يوه يا ريس إحنا سمعنا حواديت.
- وكمان حواديت!

قالها الرئيس متبرماً.

- هم الملومون يا سيدي.
- همه مين ؟
- الحاشية التي حولت لك البحر طحينة.. دا أول هام.
- والثاني ؟!
- رجعوا الطحينة لبحر.
- كلام غير مفهوم.
- بل دائرة مفرغة وضعوا الشعب فيها.
- والمطلوب ؟
- حاسبهم هتلاقي بلاوي مسيحه.
- كلام غير مقنع.
- حتى تقتنع به عليك أن تختبر ولائهم.
- لو طلبت حياتهم لن يضنوا بها عليّ.
- كفاية تطلب من أي واحد فيهم فص كبد.
- لكن أنا صحتي بمب.

- يا ريس دا مجرد اختبار.

تفكر الرئيس قليلاً .. قال وهو يهز رأسه تحتاً وفوقاً:

- والله فكرة .. ليه لأ.

سكت .. راح في شردة طويلة قال بعدها :

- لعبة تقوم فيها بدور دكتور.

دق الجرس دخل السكرتير " هاجر " قال له في حسم:

- شوف لي جهاز لتحديد فصيلة الدم.

لحظات وكان الجهاز في حوزتي .. سألني الرئيس:

- تعرف تستعمله؟

- استعمله واستعمل أبوه.

رفع سماعة التليفون تمتم:

- عرفي يا هاجر.

دخل عرفي .. الدكتور عرفي " فور دخوله " سحب الرئيس ورقه من درج مكتبه قال في لهجة جادة:

- إكتب هنا إقرار يا عرفي !!

التقط عرفي الورقة بيد مرتجفة .. سأل في دهشة:

- إقرار عن إيه يا ريس ؟

- إكتب .. إكتب .. أقر أنا .. إسمك بالكامل بأنني أوافق على التبرع بفص من كبدي..لو..

توقفت يد عرفي عن الكتابة .. نظر إلى .. ثم إلى الرئيس .. نظراته مستجديه قال في صوت صرصاري:

- معناته إيه دا ؟
- معناته إنك تتبرع بفص من كبدك لي.
- أنا حياتي كلها فداك لكن !!
- ما تلكنش يا عرفي واكتب الإقرار.
- مش مفروض قبل ما اكتب الإقرار يتم إجراء الفحوصات اللازمة يمكن فصيلة دمي لا تتوافق مع فصيلة دمك.

أشار الرئيس نحوي بيده قائلاً !

- الفحوصات أمرها سهل.

استطرد بعدها في إصرار وتحدى:

- إكتب يا عرفي والفحوصات بعدين.
- أكتب إزاي دي مؤامرة.

نظر عرفي إلى نظرة غاضبة وأنا اتجه نحـــوه حـــاملاً الجهاز صرخ:

- أقعد مكانك .. أنت رايح فين ؟

استطرد بعدها وهو يحاول امتلاك زمام غضبه قائلاً في ذلة وانكسار:

- حياتنا ملكك يا ريس لكن أنا أعيش إزاي بفص واحد ؟!
- كل كبده يطلع لك فص ثاني.

ضحك الرئيس.. طوقني عرفي بنظراته قال بعدها وهو يشير إلى:

- أكيد هو اللي أشار عليك الشورة المهببة دي.
- دخلك إيه .. إنت تكتب الإقرار وبس.
- وإمتي العملية.
- فوراً بعد إجراء الفحوصات الطبية .
- فوراً .. يا خراب بيتك يا عرفي.
- انت هتندب.

- على الأقل أتصل بقرايبي.. أعد إجراءات الدفن.
- فيه وقت يا عرفي .. فيه وقت تقوم بكل الإجراءات.
- حاضر .. حاضر..إديني ساعة زمن اتصل فيها بمراتي وأولادى بعدها أكون جاهز.

قال ذلك .. اتجه إلى الباب وأنا أهمهم ساخراً:

- بعد ساعة واحدة هيكون في المطار .. نجرب غيره.

لقد التقط الرئيس الطعم إلا أنه يريد أن يثبت خطأ إستنتاجي وهو يتصل بأقرب معاونيه " محمودي " ثم " درباله " ثم " صفوت العايق " توالي حضورهم الواحد تلو الآخر .. فور دخول محمودي وهو يلهث تساءل في لهفة:

- خير يا ريس ؟
- خد نفسك الأول.
- إنت عارف يا ريس حكم السن.
- عارف .. عارف يا محمودي.

سكت الرئيس عاد مستطرداً في حزن طاغ:

- الكونسلتو نصحني بزرع كبد.

- كبد ؟!

قالها محمودي مدهوشاً .. استطرد بعدها قائلاً:

- لكن عمري كله ما سمعت منك ولا مـــن غيـــرك إنـــك اشتكيت من الكبد.

- واشتكيت.

- والمطلوب ؟

- نوع فصيلة دمك.

استراب محمودي .. سأل متشككاً.

- ليه يا ريس ؟

- إنت لماح يا محمودي.

- آه فهمت.

سكت عاد مستطرداً:

- لكن كبد راجل عجوز زيي تعمل بيه إيه .. إنت محتاج كبد طفل .. شاب.

- معنى كده إن إنت موافق.

- موافق علي إيه .. إننا نموت إحنا الاثنين.

- إتكلم عن نفسك.

- يا ريس إنت تهمني أكثر من نفسي.

- بلاش أونطه وجاوب عن سؤالي.

هز محمودي رأسه يمنة ويسري قائلاً :

- لا يا ريس كلام لا يوكل عيــل ولا عصــفور .. عــن إذنك.

نهض .. اتجه ناحية الباب .. الرئيس يسأله قائلاً فــي حدة:

- رايح على فين ؟!

- أخرج من عش المجانين قبل ما اتجنن.

بعد خروجه مباشرة دخل كمال درباله بكرشه الغلــيظ ينفخ مثل ثور في حلبة فور أن استقر بمقعدته الضخمة على الكرسي قال متنافقاً :

- أمر الريس لو لبن العصفور.

رد عليه الرئيس في سخرية:

- لبن العصفور رخص اليومين دول يا در باله.

- لو لبن الملايكة.

- هو دا.

- رقبتي فداك يا ريس.

- قبل ما ندخل في الموضوع .. إنت اشتكيت قبل كده من الكبد.

صمت الرجل .. كل ما يشغله أن يعرف هدف الرئيس فليس معقولاً أن يستدعيه ليطرح مثل هذا السؤال التافه لابد وأن ورائه ما هو أعظم وربما أخطر .. عليه أن يتأنى في الرد طال الصمت .. سأله الرئيس من جديد:

- الإجابة يا كموله.
- ليه يا ريس هو سيادتك ناوي تعالجني على نفقة الدولة.
- لو حالتك تستدعي.
- أو تكون ناوي تحيلني على الاستيداع.
- ولا دي خطرت على بالي.
- يا ريس أنا عمرى ما اشتكيت من الكبد.
- وهي دي معلوماتي .. صحتك بمب.

درباله مازال غارقا في هواجسه والرئيس ينظر إليه نظرة متفحصة يستنهضه بكلماته:

- معده تهضم الزلط وكبدة البط الفرنساوي في نادي العاصمة.

ضحك الرئيس .. سايره " دربالة " بضحكة تنافقيةً وبعد أن هدأت أشار لي الرئيس .. نهضت من مكاني اتجهت إليه في يدى الجهاز.. الرئيس يهمهم:

- صباعك يا كموله !!
- خير يا ريس.
- عشان نحدد فصيلة دمك.
- ليه ؟!
- مش أنت قلت من شويه أن كبدك سليم.
- وفيها إيه ؟
- رئيسك محتاج فص منه.
- بتقول ماذا ؟

انكفأ وجهه .. ضاعت ملامحه .. تحول لونه إلى رماد .. تغابي وهو يتساءل:

- محتاجه في إيه ما انت أهو قدامي زي الفل ؟!

الرئيس في حسم موجها حديثه لدرباله :

- مد صباعك يا " درباله " للدكتور.
- يا ريس أمد صباعي إزاي وأنا مريض بسيولة في الدم سرعان ما يغمي عليّ لو نزفت نقطة دم واحدة.

- معناته إيه الكلام دا ؟!
- معناته أنه مستحيل .. مستحيل يا ريس.
- بتضن عليّ بحتة من كبدك يا درباله.
- صدقني لن يفيدك.
- يا خسارة .. كبرت من وراي وانت عمال تبني مملكة شيل بالكوم طوبة فساد وطوبة هباب ولما احتجتك تتخلى عني.
- ليه سوء الظن دا يا ريس .. أنا كلي على بعضي ملكك.
- كلام لكن وقت الجد فركش.
- ما تزعلش يا ريس إحنا ممكن نحل المشكلة بأسلوب تاني خالص.
- إزاي ؟
- ننقي ولد صغار لا يتعدي العشر سنين.
- هنعمل إيه .. هنصدمه بعربية وننقله لمستشفي ونأخذ كبده ولّلاّ نذبحه ونقول قضاء وقدر!!
- لا يا ريس .. نتفق مع أهل الولد.
- على إيه ؟
- على الصح.

- أي صح ؟
- اللي عادة الناس بتعمله.
- أنهي ناس؟
- ما سمعتش عن الناس اللي بتبيع عيالها..أؤكد لك أننا لن نعجز عن شراء واحد.
- كل دا عشان تهرب من التضحية من أجلي يا درباله.
- أبداً مش هرب .. لكن زرع فص من كبدي لك ميئوس منه فلماذا تخاطر وأمامنا حلول مضمونة .

نهض الرئيس .. صرخ غاضباً:

- بره .. بره مش عايز أشوفك بعد النهارده.

خرج درباله مسرعاً منكس الرأس وكأنه ولد من جديد..

كان صفوت العايق هو الرابع في سبحة الانتظار .. فور دخوله بدأ يتملاني .. لا يعرفني .. شخص غريب لم يره قبلاً .. منذ دخوله عرين الأسد وهو يعيش لحظات تخمين عما يخبئه له القدر والرئيس يطلب منه الجلوس .. مرت فترة صمت قصيرة قبل أن يوجّه له الرئيس سؤاله:

- تشرب إيه ؟
- أنا مش ضيف يا ريس .. أفضّل تدخل في الموضوع.

- دا أنت جاي حامي ..
- ماخبيش عليك أنا قلقت.. هاجر نشّف دمي.
- افتكرت إيه ..انقلاب ؟
- اكتر يا ريس .. واحد من المهاويس أصابك بسوء .. ربنا يطوّل لنا في عمرك.
- شكله كده لا هيطوّل ولا يعمر.

وقف العايق في حركة تمثيلية بارعة .. أعقبها بكلمات أقرب إلى الصراخ:

- ياخد عدوك.
- هي دي الحقيقة الظاهر إن أيامي معدودة .. عشان كده إنت معاي.

تنازعت العايق الهواجس تناوبت عليه الظنون .. كست ملامحه فرحة طفولية خضراء .. أن الرئيس ما استدعاه إلا ليعرض عليه منصب النائب الشاغر حتى إذا أتته المنية يخلفه .. رد عليه العايق بلا مبالاة:

- كلام سابق لأوانه يا ريس.
- بالعكس دا وقته.

سكت العايق راح في تفكير عميق .. قال بعـــدها فـــي جدية:

- من إيدك دي لإيدك دي.
- يعني مستعد تضحي عشاني.
- يا ريس لو طلبت عينيي!!
- بس دي تضحية كبيرة.
- أنا قدها وقدود.
- خلاص ما دمت مصمم نشوف فصيلة الدم.

أشار لي اتجهت نحوه همهمت:

- هات صباعك.
- ليه؟
- عشان نحدد فصيلة الدم.
- تحدد فصيلة الدم؟!

قالها مدهوشاً .. عاد بعدها مستطرداً:

- و إيه صلة فصيلة الدم بموضوعنا.

رد عليه الرئيس:

- هي دي جوهر الموضوع.

- ليه هو إنت لما اتعينت نائب للرئيس طلبوا منك تحديـــد فصيلة دمك.

ضحك الرئيس .. ضحك أيضاً العايق .. بعد أن نامت ضحكاتهما همهم الرئيس:

- رحت بعيد قوى يا عايق.
- رحت بعيد .. قربني.. فهمني.
- بتعتقد إن أنا بعرض عليك وظيفة النائب!
- دا فعلاً اللي أنا فهمته.
- غلط.
- والصح؟
- حالتي الصحية متدهورة ولازمني زرع كبد.

توقعت أن ينهار الرجل فالخبر صاعق إلا أنـــه بعــد فترة وجيزة من الارتباك المفاجئ استطاع أن يستعيد نفسه قائلاً في حرفية متقنة:

- وأنا بقي كبدي اللي يصلح؟!
- نشوف.
- من غير ما نشوف .. كبدي نصه تلفان من الخمـــر .. كلنا في الهوا سوا.

سكت عاد مستطرداً في وقاحة:

- يا سيدنا دا أنا عايش بالبركة ودعا الوالدين.

وقف فجأة مهمهماً:

- إذا ما كانش فيه أوامر ثانية استأذن.

لم ينطق الرئيس بكلمة وكأن سهم الله نزل عليـــه .. غير مصدق فالعايق هو أقرب المقربين إليه .. صنع منه الرجل الثاني فكيف يحدث هذا .. اتجـــه العـــايق نحو الباب .. احتدم غضب الرئيس .. زعق فيه:

- إنت رايح فين؟!

- هو سيادتك عايزني في حاجة ثانية غير الموضوع اللي اتكلمنا فيه.

- أقعد ولما أسمح لك تمشي تبقي تغور.

- وأنا الآخر ليس لدي أدني استعداد لأكون فأر تجارب.

- يعني إيه؟

- يعني سيادتك استدعيت الناس دي كلها عشـــان تختبـــر إخلاصها.

- افرض.

- بس فيه حاجة إنت نسيتها وأسمح لي أقولها لـــك علـــى بلاطة إحنا عايشين كلنا تحت جناحك ولـــو الجنـــاح دا اتقصقص ثق تماماً أن الكل مجهز نفسه للهروب.
- مش فاهم.
- يا ريس كلنا في مركب واحد لو غرقت هنغرق سوا .. حاجة واحدة بس ممكن تنجينا.. طوق النجاة.
- ومجهزينه.
- كل واحد فينا منشن على بلد وفيه واحد منـــا اشـــتري جزيرة كاملة في الهادي وانت عارفه كويس.
- تعرف إني معجب بصراحتك.
- أقرب طريق للحقيقة.
- يا ريس اللي ما يعملش حساب اليوم دا يبقي غبي.
- كده أقدر أقول لك مع السلامة والقلب داعيلك.

الإحباط والإنزواء داخل النفس والحقيقة الصادمة .. لم يكن الرئيس ينتظرها .. سؤال يراودني كيف غابت عـــن الرئيس كل هذه المدة .. لماذا عجز عـــن اكتشـــافها رغـــم وضوحها .. كيف فاته أن يتعرف عليها ولديه عيونه التـــي

ترصد الإنسان حتى وهو عارياً مع زوجته.. حاولت تخفيف الصدمة عليه بقولتي:

- لا تحزن يا ريس فإن بعد العسر يسراً.
- كيف وقد اكتشفت أنني أعيش الوهم كله؟
- كل شئ يتصلح.
- إزاي؟!
- ببساطة شديدة تحقق حلم الناس.
- للأسف حلمهم يتعارض مع استمراري في موقعي.
- لن يتعارض إذا أقدمت علـــى تنفيــذ خطــوات جـــادة للإصلاح .. المهم أول خطوة.
- كيف؟!
- بزرع كبد.
- نفس اللعبة الفاشلة.
- لن تكون كذلك هذه المرة.
- لمين.. نزرع كبد لمين؟!
- لمصر يا ريس أُمنا وعشقنا وفرحناوعشان تنجح العملية لا بد من تجهيز الجسد.
- أجهزه بس الطريقة.

- أول هام تغير الدم.
- زي ما تكون عملية جراحية بصحيح.
- تمام كده .. عملية جراحية وجراحين مهرة وتشريح.
- في أي مستشفي؟
- مستشفي النهضة.
- مكانها فين ؟!
- في وجدان كل مصري.
- وعملية تغيير الدم تتم إزاي؟
- أولاً نسحب الدم القديم الملوث.. حالة الطوارئ وكل القوانين الاستثنائية وبعدين نضخ دم جديد.
- قصدك دستور جديد.
- وأول نص فيه.. سيادتك.
- قصدك إني أرحل؟!
- لا.. أولاً تغير منظومة المنصب نفسه المتهرئة بمنظومة ثانيه نسيجها من إرادة الشعب يكون فيها اختيار رئيس الجمهورية بالانتخاب مش بالكوسة ولا بالتدليس.
- وثانياً؟!
- يتم تعيين نائب لرئيس جمهورية.

- عشان ياخدها مبخرة!!
- في ظل انتخابات نزيهة .. إنسي.
- وابني ؟!
- تبقي أكبر غلطة إرتكبتها في حياتك السياسية كلها لو عينت ابنك نائب لك.
- ليه هو ابني كخه!
- لا .. لكن في ظل انتخابات حرة نزيهة وشفافية مطلقة ممكن يرشح نفسه.
- أنا مش فاهم .. إنت معاي وللاّ ضدي؟!
- معاك .. عشان كده باقدم لك النصيحة.
- تنصحني هو فيه أحد من الرعايا ينصح حاكم؟!
- في البلاد الديمقراطية .. نعم.
- إزاي وإنت بعظمة لسانك وصمت النظام إنه ديكتاتوري.
- يمكن يكون كلامي خطوة نحو الديمقراطية.
- تبقي بتحلم.
- ماذا يعني هذا؟
- يعني إنت لا فاهم ولا عارف إيه هي السياسة.

- عرفني.
- سمعت مرة عن حاكم قرر الحد من سلطاته أو التنـــازل عنـها من تلقاء نفسه.
- قصدك إيه؟
- إيه اللي يدفعني إن أنا أتنازل عن سلطات أعطاها لـــي الدستور.
- رغبة الناس ومصالحهم.
- لو كانت رغبات الناس هي التي تحدد نظام الحكم يبقي عليه العوض ومنه العوض.
- فهمت.
- فهمت إيه وأنت قاعد قدامي زي خيال المآته؟!
- ما يؤخذ بالغصب لا يسترد إلا بالغصب.
- هذا تحريض على الثورة والتمرد أنا أرفضه.
- بل هو تقرير حقائق .. لم تعد تجدي المحايله .. عشان خاطري .. والنبي.. ربنا يديك العافية .. ربنا يطول في عمرك .. الحرية لا توهب ولكن تؤخذ .. كما حدث في أوكرانيا مع الثورة البرتقالية.
- عليك نور .. إنت كده شطور.

- طبعاً .. لك حق تسخر من كلامي وإنت قاعد متبت.
- يا ضمير لا تنظر للأمور بهذه السطحية .. فما ينطبق على الشعب الأوكراني لا ينطبق على غيره من الشعوب .. وما يصلح له قد لا يصلح لغيره.
- يا ريس لا أحد يختلف حول مفهوم الحرية.
- عايزنها تهببوا بيها إيه .. تخلفوا عيال وللاّ تسقطوا النظام وتحولوها لفوضي ويحكمها إخواننا البعدا.
- عشان تفكوا الوصاية على الناس .. هي أدري بمصلحتها.
- ناس نسبة أميتهم خمسين في المائة تعرف مصلحتها إزاي؟!
- ما هو غياب الحرية هو اللي وصّلها لهذه النسبة وستتزايد في المستقبل في ظل غياب الحرية.
- يا خسارة غياب الحرية أصبح شماعة لأخطائكم.
- الحرية هي الأساس .. شجرة باسقة فروعها الديمقراطية والشفافية والطهارة والأخلاق والضمير بدونها تنهار المجتمعات وهذا هو الحاصل عندنا وصلنا للذيل وربما تحت الذيل.

- فاكر إن الناس لو عرفت طعم الحرية ينصلح حالها.
- إمال يحصل لها إيه؟!
- الناس زي العطاشي في صحراء جرداء لو سقيتهم مرة واحدة مصيرهم معروف.. الموت بالصدمة .. لكن نقطة نقطة يصحصحوا ويبقوا زي الفل.
- وسياسة التنقيط دي على كام سنة .. واحدة .. اثنين.. ثلاثة ... عشرين؟!
- على حسب تقدم حالة المريض وأحياناً الدكتور يوقف العلاج لفترة ما عندما تستدعي حالته.
- المريض ليس في حاجة لدواء .. خلاص فات أوانه.. هو في حاجة إلي البتر وحتى يتم ذلك لا بد من مبضع والمبضع هو الحرية.
- يا ضمير الفلسفة لا تصلح لإدارة الشعوب.
- أي تخطيط بدون فكر مصيره الفشل.
- ومين قال لك إن إحنا لا نفكر في شئون المواطنين.
- التفكير غير الفكر يا ريس الفكر يمثل فلسفة التكوين.
- التكوين لإيه.. لخلايا إرهابية توقّع البلد وتحطه في مزنق .

- ما أقصده التكوين الحر وما يستتبعه من خطوات لتحقيق الديمقراطية ولن يتم هذا إلا بإلغاء كافة القوانين الاستثنائية وحالة الطوارئ واستبدال الدستور بأخر.
- أنت فاكر لو أقدمنا على هذه الخطوات تبقي المشكلة اتحلت!
- أبقي عبيط لو فكرت بالأسلوب دا .. فيه خطوات مهمة لابد من تنفيذها حتى تكتمل المنظومة.
- قل ولا تقل !!
- نمنع التزوير ونساوي في فرصة الترشيح لمنصب الرئيس ولجان الانتخاب يبقي تكوينها قضائي مش اللجان إياها ونلغي طبقية مجلس الشعب والشوري فلا عمال ولا فلاحين ولا دياولو.
- يبقي حرمنا الأمة من مكاسبها.
- يا ريس البلد مش ناقصة بلاوى مسيحة تكتم على نفسها..لازم عضو مجلس الشعب أو الشوري يكون حاصل على شهادة عالية..إذا كانت النوادي لا تقبل عضوية من يحمل شهادة متوسطة فما بالك بمن يمثل الناس في المجالس النيابية.

- خلصت عشان أنا إتخنقت من كلامك.
- لا .. لسه الأهم.
- إيه تاني ؟
- حالنا؟
- ماله؟
- معووج.
- من إمتي ؟
- من زمان لكن ظهر إعوجاجه بصورة حادة من يوم ما توليت الحكم .. قلنا حرب ٧٣ آخر الحروب وانتظرنا الرخاء لكن للأسف اقتربنا من الانهيار ونحن نعاني كافة الأمراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولأول مرة يتمكن التلوث الهوائي والمائي والغذائي والسمعي والبصري من رقبة المواطنين ويتحول اقتصاد البلد لتكية ويصبح التعليم نكبة ووزارة الإعلام واجهة لكل الموبقات الإعلامية .. ووزارة الثقافة تحولت إلى بوق للسلطة من خلال مؤتمرات النفاق.
- والمطلوب ؟

- نقطع دابر التلوث ونطور التعليم بعد ما نلغي مادة الدين ونخصخص وزارة الإعلام ونفصصها.
- إزاي؟! هي برتقالة؟
- هو فيه حد يقدر يبلع البرتقالة كلها مرة واحدة.
- أظن كده وصلت لنهايتك.
- لسه وزارة الثقافة.
- نخصخصها دي كمان ونفصصها.
- لا دي نلغيها ونحولها لمؤسسات مدنية.
- ناقص تقول نلغي منصب رئيس الجمهورية!!
- المطلوب هو تدويل شخص رئيس الجمهورية لا إلغاء منصبه.
- وهو فيه حد في الساحة أجدر مني بهذا المنصب.
- أي مواطن يرشح نفسه في هذا المنصب لابد وأن يكون واثقاً أن أداؤه سيكون أفضل وأنه أجدر به من غيره وإلا فلماذا يرشح نفسه.
- نسيت أن أنا لي خبرة في الحكم ثلاثين عاماً رئيساً ونائباً.
- ليست هذه ميزة بل نقطة ضعف.

- إنت عايز تفرسني بكلامك الدّلِع.
- يا ريس ميزة الخبرة التي تتحدث عنها يقابلها أنك قدمت كل ما عندك خلال فترة حكمك الطويل ولم يعد لديك جديد.
- كلام فارغ فتاريخي يشهد لي.
- بإيه ؟ لقد بدأت سيادتك بقيادة طائرة .. مثل قائد الدبابة والسيارة.. الفرق أن قيادة الطائرة أكثر إثارة.. ثم تدرجت في المناصب حتى وصلت إلى قائد سرب ثم قائداً لسلاح الطيران إلى أن تم اختيارك نائباً لرئيس الجمهورية ثم رئيساً ضربة حظ أو ورقة يا نصيب أتتك من حيث لا تدري لا جاهدت ولا كافحت ولا اشتركت في أحزاب ولا قدت مظاهرات ولا سجنت ولا كنت " مانديلا " ولا "علاء حامد" تاريخك أبيض تماماً.
- وفيها إيه أيزنهاور كان ضابط وشارون كذلك وغيره وغيره فالعمل العسكري لا يعيب الإنسان.
- أنا متفق معك فالعمل العسكري ليس وصمة بل شرف وقد مارسته وأنا مجند ثم وأنا على الاحتياط في اليمن .. لكن المشكلة إنك حوّطت نفسك بمجموعة من الحرس

القديم مهمتها نصب المشانق للحريـــة ورســم خريطـــة سياسية شمولية للنظام ودورك ينحصر في التنفيذ حتى خطابك البلاغي الذي تلقيه يعده صحفي بأسلوب الكلمات المتقاطعة!!

- عايز تقول أن أنا أبيض؟
- ينقطع لسان أي واحد يتجرأ ويتفوه بلفظ يجرح أحاسيسك لكن الواقع هو الذي يتحدث.
- أي واقع هذا الذي تتكلم عنه!
- الواقع يقول أنك نادراً ما ارتجلت خطابا سياســياً ولــم يحالفك التوفيق في كثير مــن أحاديثــك الصــحفية أو المذاعة .. وقد استمعت لك في مناسبات عدة لأكثر من حديث .. نفس الأحاديث المكررة المعادة لم اكتشف فيها جديداً يعبر عن منهج فكر سياسي ديمقراطي حر بل كل ما يمكن استخلاصه من مجاميع الأحاديث هو إصـــرار المحيطين بل على استمرارك في الحكم مدي الحيـــاة لا لسبب إلا لأنهم المستفيدون من تواجدك على رأس الدولة .. نعم أنت الرئيس ونحن نقدر ونحترم فيه الرمز لكننـــا أصبحنا في حاجة إلى ما هو أكثر من الرئاسة التقليديـــة

الروتينية .. أصبحنا في حاجة إلي زعامة تعتمد علـــى اختيار الجماهير لا على استفتاءات مــزورة .. تتبنـــي رؤية مستقبلية من خلال منهج سياســـي يـــنهض علـــى الحرية .. زعيم وليس رئيس يعتمد في استمرار تواجده على عصا رجل الشرطة المكهربة الصاعقة .. النـــاس تريد استبدال ثقافة العســكر الحاكمـــة بثقافـــة الحريـــة والديمقراطية .. ثقافة لا يتحصن الرئيس فيها من النقـــد .. ثقافة تمزق شرنقة الديكتاتورية وتنفتح علـــى كافـــة الثقافات الأخرى .. ثقافة تجـــدد قياداتهـــا تلقائيـــاً دون اللجوء لمنشور من السلطان فليس مقبولاً بل هو التخلف ذاته أن يقود مسيرة شعب جائع أربعة من الحرس القديم يتناوبون على جلد هذا الشعب مرة بسوط مجلس الشعب وأخرى بسوط مجلس الشورى وثالثة بســـوط الحـــزب الوطني ومرة رابعة بسوط الوزارة.. أربعة رجال كـــل همهم الموت وهم في كراسي السلطة .. تمكنوا خـــلال عشرين عاماً من حكمهم وضع الشعب المصـــري فـــي القائمة السوداء .. قائمة التخلف والإرهـــاب والتلـــوث والأمية والجهل والفقر هؤلاء هم من يجـــب محـــاكمتهم

على ما ارتكبوا في حق الشعب بوضـــعه فـــي القائمـــة السوداء لا أن نحاكم طموحات مشروعة لرئيس حـــزب في الحرية والديمقراطية. إن المصريين بكافة طـــوائفهم وانتماءاتهم يتشككون في نية الحرس القديم تجاه الحرية .. عدوهم اللدود وهم يشهرون عليها سكاكين الجـــزار بعد أن علقوها ذبيحة توطئة لتقطيعها وبيعها مجزئة لكل من هب ودب وأنت تري مـــا يحـــدث دون أن تحـــرك ساكناً.

- كلام سخيف واتهامات باطلة لا أقبلها.
- لا تقبلها لكنها تعبر عن الحقيقـــة .. فـــلا حريـــة مـــع السلطات المطلقة .. عدوانّ لدودان لا يتعايشـــان ســـوياً فسلطات الرئيس في بلدنا المغلوب على أمره لا حـــدود لها .. أوسع من سلطات مؤسسات الدولـــة مجتمعـــة .. التشريعية والتنفيذية والقضائية فهو القائد الأعلى للجيش والشرطة ورئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس الحزب .. يملك سلطة إصدار القوانين وحـــل مجلـــس الشـــعب والشورى وتعيين الوزراء وإقالتهم .. سلطات لا يملكها الله على البشر .. بعد كل هذا تتهم كلامي بالسخف.

- الحرية لا صلة لها بما حباه الدستور لي من سلطات.
- يا ريس الحرية لا تستقيم مع الديكتاتورية .. أمران متناقضان إما هذا وإما ذاك .. فإذا رُفعت راية الحرية اختفت الديكتاتورية .. والعكس صحيح وما ذكرته من سلطات رئيس الجمهورية هو صورة فجة للديكتاتورية وكما قلت أرض مالحة بور لا يمكن أن تنبت فيها شجرة الحرية.
- إيه حكايتك إنت بتحسدني؟!
- بالعكس أنا أُنصحك .. أُنير طريق الأمل أمامك .. أطلب منك وأنت في موقعك تهيئة الأرض المالحة لإنبات شجرة الحرية حتى تتذكرك الأجيال القادمة بالخير كما تذكرت سعد زغلول ورفاقه.
- يعني عايز مني إيه أحولها لفوضى.
- تمام زي ما أقنعوك عصبة الأربعة أن الحرية فوضي رغم أن المفاهيم في العالم كله المتحضر والمتخلف تغيرت تماماً وحدت من سلطات رئيس الجمهورية.
- وفيها إية .. هي في النهاية بتصب لمصلحة مين ؟!

- هذه السلطات عندما تجتمع في يد فرد واحد لابد وأن تحوله لديكتاتور.
- عايز تقصقص جناحاتي عشان الغربان تاكلني وأنا حي.
- لو أنا في مكانك ستكون هذه أول خطوة في برنامجي .. وحكاية الغربان مجرد وهم.
- كده تبقي حكمت على نفسك بالإعدام.
- ليه .. هو الحاكم لما يعطي المواطن حريته معناه موته.
- أنت لا فاهم ولا عارف.
- عرفني .. فهمني .. من حقي أعرف.
- فيه اتفاق ضمني بين الحكام العرب بإبقاء الحال على ما هو عليه ومن يخرج على هذا الإجماع يبقي يا ويله يا سواد ليله.
- إذن الكلام اللي سمعناه في أروقة السياسة صحيح.
- كلام إيه اللي سمعتوه.
- إن فيه اتفاق سري بين حكام الأنظمة الديكتاتورية على إبقاء العراق على شفا هوة من القلق حتى لا تستقر به الأمور ولا يتم دمقرطة نظامه خوفاً من أن تصيب جرثومة الديمقراطية هذه الأنظمة الديكتاتورية وتم

اختيار سوريا لتكون مخلب القط في مخطط إثارة القلاقل والإرهاب داخل العراق بمساندة حكام هذه الأنظمة الديكتاتورية.

- تقصد مين بحكام الأنظمة الديكتاتورية.
- كل الأنظمة التي يؤثر عليها دمقرطة العراق بلا استثناء.
- كلام مرسل لا دليل عليه فسواء تحولت العراق إلى بلد ديمقراطي أم عجزت عن ذلك فلن يغير هذا من أسلوب تلك الدول.
- معني كلامك إن لا فيه إصلاح ولا دياولو.
- لا فيه دياولو لكن الإصلاح كلمة ممكن نسمعها في المؤتمرات والندوات لكن عند التنفيذ الفعلي فيه محظورات لا يمكن الاقتراب منها.
- مثلاً.
- سلطات رئيس الجمهورية وتمديد فترات الرئاسة بلا حد أقصى .. وضوابط وضمانات الترشيح للرئاسة بحيث لا يتقدم لها كل من هب ودب.

- يا ريس الصحة لم تعد على ما يرام والأعمار بيــد الله فإذا حدث لك مكروه لا قدر الله منعك من ترشيح نفسك سيتحول من يخلفك إلى ديكتاتور آخر.
- ما يتحول ولا يتنيل وأنا مالي.
- مستحيل إننا نزرع بذرة الحرية في أرض مالحة.
- إيه حكاية الملح دي اللي مخيشه على عقلك.
- يا ريت على قد الملح .. دا ملح وصودا كاوية وسيانور البوتاسيوم.. كيف تقام انتخابات في ظل قوانين طوارئ تسمح للنيابة أن تحبس المرشح وكيــف يظــل رئــيس الجمهورية متربعاً على عرشه لأقرب الأجلين الموت أو الموت!! ثم كيف تستقيم الحرية مع كل هــذه الســلطات الواسعة التي يتمتع بها وأخيراً كيف نضع العربة قبــل الحمار ونغير مادة في الدستور قبل أن نهيــئ التربــة بإلغاء قوانين الطوارئ .. يا ريس الناس غرقانــه فــي مستنقع الخوف وعايزه اللي ينشلها وانت الوحيد المؤهل لمساعدتها فإذا تخليت عنها في محنتها فلن يرحم التاريخ عصرك ولا نظامك.
- لو إنت مكاني كنت هتعمل إية ؟

- أحط برنامج كامل متكامل بجدول زمني لا تزيد مدته عن ثلاثة سنين يتم من خلاله إلغاء حالة الطوارئ والقوانين الاستثنائية وكل القيود على تكوين الأحزاب وإصدار الصحف وحرية التعبير والتظاهرات والاجتماعات وألغي نسبة العمال والفلاحين الطائفية من مجلس الشعب والشوري وأشرع نظام انتخابي أراعي فيه تمثيل الأقباط والمرأة تمثيلاً عادلاً.
- كل دا في برنامج واحد؟!
- بل هو الخطوة الأولي للإصلاح السياسي أو غسل التربة مما علق عليها من أملاح الديكتاتورية يعقبها تخصيب الأرض بمخصبات وقف التلوث العقلي بمحو الأمية ووضع نظم مستحدثه للتعليم لا يدخل الدين في منظومتها يتلو ذلك مخصبات الحرية من خصخصة لكافة الصحف القومية ووسائل الإعلام والثقافة وأخيراً مخصبات الاستثمار من خصخصة البنوك ووسائل النقل والبترول وكافة شركات قطاع الأعمال وقناة السويس.
- إنت بتحلم.

- يا ريس إذا كنت لا تجد في نفسك القدرة على تحقيق ذلك الحلم فدع غيرك يحققه ومصر ولادة.
- وهو حد ينفع لقيادة الأمة في هذه الفترة الحرجة غيري.
- طبعاً .. مصر ليست عقيماً.
- شاور لي على واحد وأنا أقطم لك رقبته وللاّ أقول لك أحطه في السجن.
- أنا ..

ضحك الرئيس .. قال ساخراً:

- إنت .. إنت مين؟!
- أنا ضمير الأمة.
- لم يعد الضمير يصلح في عصر الماديات.
- نجرب.
- وأنا أروح فين !
- لقد قدمت كل ما عندك ولم يعد لديك سوي ما يقدمه الحرس القديم فدع غيرك يفعل ذلك على أسوء الأحوال سيكون عهدة أفضل مما نحن عليه الآن.
- ومن أدراك.
- لأن الديمقراطية ستكون وسيلته والحرية هدفه.

- إن هي إلا سنين وينقلب على مبادئه.
- من يحصل على الحرية ليس على استعداد للتنازل عنها.
- وحدث!!
- ٥٢ كان عصر وما نحن فيه عصر آخر لا يتساهل أبداً مع من يناوئون الحرية .. وأكبر دليل على ذلك أوكرانيا ولبنان والبقية تأتي.
- وإذا رفضت.
- تبقي الطامة الكبرى أن هي إلا شهور وربما أيام ويسقط التاج !!
- أي تاج تقصد.
- تاج القوانين الاستثنائية والطوارئ والسلطات المطلقة التي تضعها على رأس النظام.
- دلوقت بس فهمت ليه إصرارك على مقابلتي.
- الحمد لله أنك فهمت هدفي.
- لكنه حلم إبليس في الجنة.
- يبقي كفاية علىّ نشر المناظرة التي تمت بيني وبينك على الملأ.
- يبقي أخر يوم في عمرك.

- ويبقي آخر يوم في عمر النظام تمام زي ما حصل بعد اغتيال الحريري.
- الحريري كان رئيس وزارة.
- كان فعل ماضي لكن أنا مازلت مبدعاً.. عارف سيادتك يعني إيه مبدع .. يعني ضمير الناس .. ممكن تصفيته جسدياً لكن من المستحيل قتل الضمير داخله..
- أنت مصيبة وحلت عليّ.
- المصيبة الحقيقية إنك لم تعد تسمع إلا بآذان معاونيك ولا تتكلم إلا بلسانهم فتتم حجب أنين وصرخات الجوع والفقر والبطالة.
- من الآخر عايز إيه يا ضمير.
- بعد أن سمعتك تأكد لي أن التعارض بين النظام والناس حاد لا يمكن توفيقه ولم يعد ثمة طريق للخروج من هذا المأزق سوي التضحية بأحد الطرفين لحساب الآخر ولأنه لا يمكن التضحية بالشعب فلم يعد ثمة طريق للخلاص سوي أن تسلم الراية لجيل آخر بعد أن لفظ الناس عهد الإبادة الجماعية للحرية.. عهد يتم فيه تفصيل الأحذية للديكتاتورية لتدوس الشعب .. عهد قتلت

فيه روح الناس وسلبت مقتنيات إرادتهم بعد أن استمرأ النظام الخديعة والغش والتزوير والالتفاف حول أحلامهم وآمالهم.. عصر يختبئ فيه المسئولون أثناء الاحتفالات خلف زجاج مضاد للرصاص.. لا يختلط فيه الحاكم بالشعب خوفاً من غضبته بعد أن أكل النظام الناس لحماً وتركهم عظماً.

- هات من الآخر .. طلباتك.
- في عبارة واحدة وقف الانهيار.
- أي انهيار هو إنت مش عايش في البلد دى.
- عايش وحاسس بآلام الناس وأحلامهم وأحزانهم لكن المشكلة في اللي عايش فقط مع نفسه.
- تقصد مين؟
- أقصد أي حاكم يعمل بالريموت .. مجرد دمية في إيدى اللاعبين يحركونه متي يشاءون طبقاً لمصالحهم وأهوائهم.. الناس تريد حريتها وفك الوصاية عليها وترغب في اختيار رئيسها دون ضوابط أو قيود وفي تمثيلها في المجالس النيابية دون تزوير أو تدليس أو

غش وهذا كله يمكن أن يتم بسن حزمة قوانين.. المهم تكون النية صادقه.

- نظرياً كلامك يعدي الجسر لكن عملياً ستتقابل مع صعوبات وبتاعات قد تطيح بك.
- أنا لا أنكر إنه توجد صعوبات ولكن بداية المائة ميل خطوة واحدة فلتبدأ بالحرية لو استعاد الناس حريتهم التي استلبت منهم لتحطمت صخرة هذه الصعوبات والناس لن تستعيد حريتها إلا إذا هيأت التربة وقلصت من سلطاتك التي تقتنص حرية الإنسان وهي تقيد حرية اختياره وتدعوه إلي عبادة الفرد الواحد التي نهي الله عنها وتحول جموع المواطنين إلي أغنام تتبع قائدها حتى الهلاك.
- كلام مرسل لا دليل على صحته .. يا أخي أما أنت غريب الشكل إذا كانت الناس راضية عن حالها إيه اللي أشخشخك أنت في شئونها.
- لقد حولهم النظام إلي قطيع يمأمأ.. لا هم له إلا الحصول على الماء والكلأ مع أن المطلب إعادة حقاً مسلوباً سلبه بالسطوة والقوة والقمع دستور أعوج .. أعرج بواسطة

لصوص أمعنوا في سرقة حريات البشر من خلال قوانين للطوارئ .. فهل تختلف معي في أن الناس تطلب استعادة حقاً مسلوباً لهم.

- أنا لم أسلب من الناس حقهم في الحرية .. فكل ما فعلته أنني سرت على درب من سبقني.
- من سار على الدرب فقد شارك في الأسباب التي أدت بنا إلي الانهيار جملة وتفصيلاً.
- هذا اتهام لا أقبله من صعلوك مثلك.
- أولاً أنا لست صعلوكاً بل أنا أديب مبدع ثانياً أنا لا أتهمك لكنني أتحدث بمنطق القانون الذي لا يطيق النظام الحديث بلغته فلا أحد ينكر حتى أنت رغم التزويق والتعتيم أن شعبنا الآن يعيش اللحظة الحرجة بعد أن تدني كل شئ حتى الإنسان ولأنك على رأس النظام فلا بد أن تكون مسئولاً بصورة أو بأخرى عما وصل إليه هذا الشعب من تدني.
- هذا الكلام يتناقض مع الرأي العام لجموع الشعب والتي تطالب باستمراري على قمة النظام فترة أخري.

- كده تبقي ظلمت الرأي العام فالمسألة لا تتعدى مجموعة من المنتفعين في الحزب مثل أي حزب فاشي .. فمــن من المواطنين لا يعاني الآن ارتفاع الأسعار وتبلد التعليم ولسعة الدروس الخصوصية واجتياح الفقــر والبطالــة وانهيار الصحة العامة وانتشار المطبات فــي الشــوارع ونفوس البشر وشيوع التلوث وسرطنة الغــذاء والمــاء والهواء بعد هذا تحدثني عن الرأي العام .. أي رأي عام هذا .. لمجموعة من المرتزقة أم مجاميع المســتفيدين أم المرعوبين أم ضعاف النفــوس أم المنــافقين أم حملــة المباخر أم ضاربي دف السلطة ماذا تريد بالضبط إثباته يا سيدي الرئيس إنك الحاكم الوحيد الذي يصلح لحكــم مصر لمدة ثلاثين عاماً وربما بعد وفاته رغم انهيار كل ما توارثناه من قيم على مر العصــور بعــد أن حلــت العشوائيات الفكرية والعلمية والاجتماعية والعدالية محل القواعد المتعارف عليها.. صدقني إنك لن تخدم شــعبك بتمديد ولايتك الخامسة بل سيحدث خلالها إحداثاً جساماً تشيب لها الولدان ستهز المجتمع بأسرة .. إنــك علــى أبواب إرهاب من نوع جديد .. إرهاب الطغمة الفاســدة

التي تتحكم في مقادير الشعب المغلوب علـــى أمـــره.. إرهاب سيشعل الساحة ناراً وقد تمتد ألسنة ناره ليصبح طائفياً ومن يريد ذلك !! حتى أنت لا يمكن أن تتصـــور هذه النهاية الدرامية المفجعة لحكمك فحذار أن تفعل ذلك وتعلن الترشيح لولاية خامسة إن لم يكن من أجلك ومن أجل سلامتك أنت وأسرتك فمن أجل هذا الشعب الـــذي قدم لك كل غالي ورخيص رغم إنك لم تنفذ الوعد الذي قطعته على نفسك وأنت تتولى الحكم بأنها ستكون ولاية واحدة .. وها أنت ســتكمل الولايـــة الرابعـــة وكفـــي بالمؤمنين شر القتال.. أريد منك أن تعي وأنت تفكر في هذه الخطوة الأخطار التي تحدق بك وبالوطن لا نريـــد منك أن تكـــون صـــدام أخـــر ولا رئـــيس قازخســـتان المخلوع.. بل نريد منك أن تترك مكانك معززاً مكرمـــاً حتى يكتب في التاريخ إنك الحاكم الذي حرر الشعب من الطغيان لتصبح مانديلا مصر الذي لا يشق لـــه غبـــار وتكتب سيرتك في التاريخ بحروف من نور لا بحروف من دماء الضحايا وحطام المباني والـــدخن والقنابـــل.. ودعني أسألك لماذا هذا الإصرار على الاســـتمرار فـــي

الحكم رغم شيخوختك ورغم الشكوك في لياقتك السياسية التي تتآكل بمرور الأيام وقدراتك الصحية بعد أن أصابتها وعكة تلو وعكة؟ فهل سببُ هذا الإصرار إدمان السلطة أم الخوف؟!

- أي إدمان وأي خوف؟ كلمات رنانة لكن ليس لها أية ردود عندي.. تهويش وتشويش .. جمل ساحب معزة وللاّ معزة ساحبة جمل!!

- يا ريس إدمان السلطة أقوي من إدمان المخدر فهي تضع صاحبها في دورات توهان جميلة وهو يري كل شئ داني لو قطعة من السماء طلبها لنالها.. مثل هذا الإدمان يؤدي بالتالي إلي الخوف من الواقع لو السلطة شاورت بيدها "باى.. باى".

- إيه الكلام الحلمنتيشى دا؟!

- نعم الخوف من ضياع كل المكاسب وجنة الخلد ثم الخوف من اكتشاف الأخطاء التي ارتكبها النظام في حق المقهورين وأخيراً المحاسبة عليها.

- لم أفعل طوال فترة حكمي ما يؤاخذني عليه أحد.

- كده تبقي ولا الأنبياء حتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطأ.
- لازم تفهم جيداً إن الرؤساء لديهم حصانة وقوانين تحميهم من التطاول عليهم رغم هذا فأنا لم أخالف الدستور أو القانون ولم أتربح من منصبي.
- لقد أثلجت صدري بردك هذا وأفحمت الشائعات التي تضعك في قائمة أغني أغنياء رؤساء العالم.
- قلتها شائعات.. ومع ذلك فهل الغني أصبح وصمة؟ جميع رؤساء العالم من شرقه لغربه يتمرغون في النعيم ولما تيجي عندنا تبقي وصمة .. حتى ياسر عرفات الكحيان العدمان مات ملياردير .. لكن أنا مستعجب إنت جاي تحاسبني وللاّ تنق عليّ وللاّ إيه بالضبط؟
- ولا هذا ولا ذاك .. كل ما في الأمر إن سيادتك أثرت موضوع كنت عايز أتكلم فيه لكن كنت محرج.
- خير.. أتكلم ما هو الكلام اليومين رطرط بقي أرخص من ربطة الفجل.

- الموضوع باختصار هو ضرورة تحديد مخصصات رئاسة الجمهورية ببند في الميزانية بدلاً من تركها سبهلله.
- يعني إيه سبهلله .. إنت بتتكلم معاي بور سعيدي.
- يعني بدون رقابة وإنت أدري أن الرقابة هي تفعيل للشفافية وبدلاً من الاستماع للشائعات التي تتردد في طول البلاد وعرضها عن تخصيص دخل قناة السويس لمؤسسة الرئاسة ووزارة الخارجية.. بدلاً من ذلك علينا أن نضع الحقائق أمام الرأي العام حتى نرد غائلة النظام.
- غائلة .. إنت هتتكلم بالنحوي .. إتكلم دوغري من غير لف ولا دوران.
- أقصد رد اعتباره.
- صحيح اللي إختشوا ماتوا.
- مش فاهم إيه صلة اللي إختشوا ماتوا بموضوعنا.
- بصرة!!
- ملعوبة يا ريس.
- حاسب على كلامك أنا مش عايز صبري ينفذ.
- لكن من حقي أعبر عن رأيي.

- بعبر زي ما أنت عايز.
- إصرارك على الانفراد بالحكم مشكلة عويصة لا بد من حلها.
- كلام مهاويس إخوانجيه.
- يا سيدي إن أمريكا تملك خيوطاً كثيرة تستطيع أن تحدث بها إنقلاباً بل في إمكانها تحريك قوي داخلية تقضي على الاستقرار وانت قلتها بعظمة لسانك فلماذا لا نصغي لصوت العقل الذي ينادينا بخفض رؤوسنا قليلاً أمام العاصفة لا أن نواجهها بأسلوب ملتوي فنأخذ بالشمال ما نعطيه باليمين.. المهم أن لا يري أحد الشمال!!
- شمال إيه ويمين إيه .. إنت بتخرف.
- منذ فترة أطلقتم قذيفة انتخاب الرئيس بالاقتراع السري المباشر وبعد أيام تم شل فاعليتها.
- انتظر حتى تري النتيجة.
- المسألة ليست في حاجة للانتظار..الكتاب باين من عنوانه وعنوانه س،ص،ش.
- وأنا فين.

- دورك ثانوي طالما أنهم يـــدعمون حكمـــك وســـلطاتك وبقائك في السلطة حتى الممات لكن صـــدقني ســـتكون النهاية مفجعة إن لم تكن بأيدي الفقراء والعراة والجوعي ستكون بأيدي أمريكا.
- كل ما تتحدث عنه خيالات مريض يجب إيداعه مستشفي عقلية.
- بعد أن ضاقت بالشعب كل السبل لم يعـــد أمامـــك مـــن طريق سوي الرحيل.

رد الرئيس في حدة مشوية بالغضب:

- والله العظيم إنت لا فاهم حاجة ولا عارف أنت بتقـــول إيه.
- عرفني .. فهمني.
- المسألة مش بالبساطة دي حتى لو أنا وافقـــت غيـــري سيرفض..حطها حلقة في ودنك أنا مش نـــاوي أســـيب الغوغاء تحكم.
- من غير حلق ولا كوليه كلنا عارفين إن ما فيش حـــاكم على وجه الأرض في إيده كل هذه الســـلطات المطلقـــة ويترك الحكم طواعية.

- إنت خنقتني شوف لنا موضوع تاني نتكلم فيه.
- النصف الآخر.
- قصدك النص الحلو.. أنصفناها ما بقاش غير تيجي تقعد مكاني وتهز رجليها.
- كلام جميل لكن أجمل منه الحقائق أولها أن المرأة ما زالت في الحضيض وعلينا أن نعمل على انتشالها.
- في الحضيض إزاي وننشلها من البكبورت إزاي؟
- بحزمة قوانين من خلالها نقيد الطلاق بحكم المحكمة ونمنع تعدد الزوجات ونعوض المرأة عن الطلاق بتوفير مسكن ملائم ومعاش يغنيها عن الحاجة ونمحو أميتها باتباع وسيلة الإثابة والعقاب فنقرر مكافأة لكل من تتعلم ونحرم تلك التي ترفض الخروج من عثرة أميتها من بعض الحقوق كاستخراج بطاقة شخصية كما نلغي نهائياً أحكام قانون الدخول في طاعة الزوج ونعتد بشهادتها مثلها مثل الرجل ونعترف بأحقيتها في كافة الوظائف بلا استثناء وخاصة القضاء ورئاسة الجمهورية.

- كده تبقي ضمنت كل أصوات النساء إذا رشحت نفسك للرئاسة لكن السؤال يا ناصح أنت كده عايز ميزانية دولة عشان تقدر تغطي بنود الصرف.
- ولا ميزانية دولة ولا حتى محافظة.. بل يتم فتح صندوق لدعم المرأة وليس الصندوق إياه الذي يسجن الشباب .. مصدر موارده رسم يدفع شهرياً على كل زواج جديد في صورة أقساط بوليصة تأمين تستحق للزوجة عند طلاقها بينما يستمر الزوج في دفع الأقساط.
- غيره .. كلب غيره !!
- الشباب لكنهم يا سيدي ليسوا ضمن بند غيره بل هم عمود الوطن الفقري .. لذلك يجب أن يحصلوا على حقوقهم المهضومة بتشريع يضمن تواجدهم على الساحة السياسية.
- إزاي وهمة غارقين في السلبية لا يهمهم سياسة ولا كُناسة.
- علينا أن نستبدل نسبة النصف عمال وفلاحين في مجلس الشعب بالشباب.. هؤلاء الذين لا تتجاوز أعمارهم أربعون عاماً وبالنسبة للرئاسة ينص الدستور على أن

يكون عمر نائب الرئيس لا يتجاوز الخمسة وأربعون عاماً.

- عايز تجيب عليها وأطبها.
- المنطق يوجب هذا والواقع يفرضه خاصة بعد أن أصابت مجتمعنا أمراض الشيخوخة والزهايمر فقد أمسك بزمامه بدءاً من رئاسة الجمهورية وانتهاء بالأحزاب ومروراً بمجلسي الشعب والشوري من تجاوزوا السبعين من عمرهم تبلد منهم الحس السياسي ولم يعد يهمهم سوي البقاء على كرسي السلطة حتى مماتهم لذلك يجب علينا أن نعد الشباب لخوض مستنقع السياسة الذي يعج بالثعابين والتماسيح والأفاعي.
- كيف تهيء شباباً عاطلاً للسياسة؟!
- هذه نقطة جوهرية علينا التركيز عليها بعد أن تحولت البطالة إلي قنبلة موقوتة ستنفجر إن أجلاً أو عاجلاً لتصيب شظاياها الجميع وأولهم النظام .. لذلك علينا أن نواجهها في حسم وجدية لا بالطريقة الوهمية الأراجوزية لمشروعات الصندوق الاجتماعي.
- كلام أونطة لا له في العمايل ولا بيسلم من النجاسة.

- مش فاهم.

- ولا هتفهم.

سكت الرئيس عاد مستطرداً متسائلاً:

- إنت بتستعمل الواقي؟

السؤال غريب لا يمث للموضوع بصلة .. ربما يحتاج فهمه لعبقري خارق للعادة.. رغم دهشتي رددت عليه في ثقة:

- آه فهمت .. في حالة واحدة فقط لما أتعامل مع السلطة!!

- واشمعني يعني السلطة؟

- حتى لا أصاب بالإيدز.

- عمال من الصبح تلخبط في الكلام عن البطالة والنظام والشظايا والقنبلة .. يا حبيبي يا قرة عين أمك إنت غير فاهم طبيعة الشعب المصري.. الشعب المصري مسالم حتى لو البطالة تحولت زي ما انت بتقول لقنبلة موقوتة مين هو اللي هيشعل الفتيلة .. إصحي يا نايم وحد الدايم أنا باحكم البلد بقالي أكثر من عشرين سنة .. رئيس الوزارة وكل الوزراء موظفين عندي أقيلهم في أي لحظة .. مجالس الشعب والشورى والمجالس المحلية في

قبضة أيدي أحلها في الوقت اللي يعجبني .. أي واحد يطلع لي لسانه أقطعه . وأي قلم يتطاول عليّ أدوسه .. أوعي تكون فاكر عشان استقبلتك وأمنتك على حياتك تقدر تلسّن عليّ بكلمة .. أمحيك من الوجود إنت واللي يتشدد لك..عشان كده لازم تكون موضوعي في كلامك..قل لي على خطة نحارب بها البطالة..اقتراحات..مش كلام همايوني.

- أمرك يا ريس .. فلنبدأ الحرية وانسجام المجتمع مع مفهومها لتتوالى بعد ذلك منظومة الخطوات ليست في بطء خطو السلحفاة كما هو الحال الآن بل في صورة قفزات لكنها محسوبة .. نرسم لكل خطوة خريطة عليها كل التفاصيل من مرتفعات ومنحدرات وهضاب وعوائق وسدود وحلول .. هذه القفزات يمكن اختصار مدلولها في عبارة واحدة .. تهيئة طينة الديمقراطية لبذرة الحرية من خلال فلسفة جديدة يتلقاها الشباب حول الوطن والمواطنة تعتمد على خطاب سياسي يمجد مصر ويعمق إيمان الشباب في وطن مصري نقي لا عربي ولا غربي ولا شرقي ويلقنهم نشيداً وطنياً تهتز عند إنشاده عظام

الأذرع والفخذين. فلسفة نبث من خلالها الروح الوطنية الغائبة من خمسين عاماً والأمل في حاضر سعيد ومستقبلٍ زاخر بالأحلام.

- كل هذا كلام إنشائي جميل .. لكن قولك إيه في مهاويس الدين المتعطشين للسلطة؟!

- الدين علاقة خاصة جداً بين الإنسان وربه .. هذه الخصوصية يستتبع معها عدم التدخل في هذه العلاقة سواء من الأفراد أو من المؤسسات الدينية أو الحكومية حتى لا تفقد مغزاها.. وهو ما يفعل التطرف عكسه تماماً في محاولاته دمج الدين بالشأن العام وهذا ما يتعارض مع هدف الدين باعتباره علاقة خاصة بين الإنسان وربه.

- خلاص .. خلاص فهمنا قصدك .. عايز تفصل الدولة عن الدين.

قالها الرئيس في عجالة وعصبية.

- ليس هذا فحسب بل يجب فصل الدين عن كافة المؤسسات التعليمية سواء تعليم عام أو أزهري حتى لو أدي الأمر إلي تقليص اختصاصات مؤسسات الدين

المختلفة كالأزهر والأوقاف والفتوى بقصر عملها على الشأن الديني فقط.

- هذا هو التطرف المقابل.
- ييجى إيه جنب التطرف الذي يمارسه الأزهر وهو يصادر الكتب باسم الدين ثم وهو يطالب بسجن الكتاب والأدباء الذين يحاولون إشاعة البهجة بإحلال الجديد محل القديم البالي.
- الأزهر ومؤسساته الدينية تحاول ضبط إيقاع المجتمع.
- هذا هو لب المشكلة وأُس البلاء أن يتدخل الديني في شئون المدني .. اسمح لي يا سيادة الرئيس أن أذكرك بأنه يوجد في مصر أكثر من مؤسسة مهمتها ضبط إيقاع المجتمع وفي مقدمتها القضاء ومن ثم فلا حاجة لتكويم القمامة داخل رأس الإنسان المصري.
- خلصت كل اللي عندك!!
- تحدثنا في المهم وبقي الأهم .. أنت.
- أنا ؟! ربنا يخليك ويطرح البركة فيك.

- لقد لعبت الصدفة دوراً هاماً في حياتك ولم يكن أحد ليتصور ولا حتى أنت.. أن يصبح طيار ثقافته عسكرية وليست لديه خلفية سياسية رئيساً للجمهورية.

- باين عليك عايز تلبخ.

- يا سيدي إنني أسرد وقائع لا أكذب ولا أتجمل في صياغتها .. مثل أي ضابط عسكري تدرجت في المناصب من ملازم حتى لواء وقائد لسلاح الطيران وبعد نجاحك في توجيه الضربة الجوية المؤلمة للعدو وتحقيق مهمتك في حصد أرواحه وقع اختيار الرئيس عليك لتصبح نائباً له وكانت دوافعه لهذا الاختيار إنك تماثله في المنشأ فأنت سليلُ أسرة متوسطة رقيقة الحال مثل آلاف الأسر المصرية.. رب الأسرة يعمل موظفاً بوزارة العدل ويناضل من أجل تحقيق حياة كريمة لأسرته ومن ثم فإن تشابه ظروفكما يحقق له الطمأنينة والأمان فليس لديك طموح الإمارة ولم تكن من خصالك تلك الشخصية التآمرية التي تفرد بها السادات خاصة بعد أن نجحت في إحدى تجارب صفقات السلاح بدرجة

امتياز وانت تحيط الرئيس علماً بتفاصيل الصفقة من الألف للياء بما فيها العمولة.

كل ما ذكرناه يخضع لترتيبات الصدفة حتى ترشيحك رئيساً للدولة بعد اغتيال السادات لم تكن تتوقع ذلك خاصة أمام منافسك " أبو غزالة " معشوق فصائل الجيش آنذاك.. واستمرت الصدفة تلعب دورها وأنت ترتقي العرش والشعب مكبل بقوانين الطوارئ والسلطات المطلقة لرئيس الجمهورية تقول لك شبيك لبيك أنا عبدك وبين إيديك ومجموعة من الجبابرة على استعداد لخلع سراويلهم مقابل السلطة من خلال معادلة حسبت جيداً أنت على رأس الدولة ونحن نفعل في الشعب ما بدا لنا ونجحت المعادلة حتى الآن على حساب الشعب المسكين فقد حكمت الدولة زهاء ربع قرن بينما الجبابرة يعيثون في الأرض فساداً وإفساداً طبقاً لآليات الصدفة التي لا يخضع معيارها للعقل والعلم.. والنتيجة كما نراها الآن على الساحة وزارات تعاقبت على السلطة لا هدف لها سوي بقائك في الحكم والجبابرة معك .. وانفجار في المواليد وانتشار الأمية

وتدهور الصحة العامة وتوغل السرطان وتمكن وحش التلوث المائي والهوائي والغذائي والسمعي والبصري من رقبة المجتمع والتهام غول البناء لأرض الدلتا الزراعية. الكل يعرف أنك لا تريد أن تتخلى عن الرئاسة وأنت حي ترزق لأن مكوناتك الشخصية اندمجت معها فأصبحت جزء لا يتجزأ منها.. لذلك فالتخلي عنها يصبح بمثابة موت إكلينيكي وهذا معني ما تردد على لسانك أكثر من مرة وأنت تستصعب الرحيل. رغم إن هذا التصور لا يتفق مع الواقع فعشرات من الرؤساء الذين تركوا الحكم طواعية أو قسراً مازالوا يعيشون ويمارسون حياتهم.

صاح الرئيس في حدة:

- أسكت.. إخرس .. هطلّع مصاريني بره؟!

- سيدي الرئيس بعد كل هذا ماذا يمكن أن تتوقع؟! رئيس يتولى الحكم بالصدفة يملك قبضة حديدية بالصدفة .. يري الأمور بمنظور معاونيه أيضاً صدفة.. مثل هذا الرئيس ماذا يمكن أن يقدم في ولايته الخامسة سوي تكرار للحادث والحادث من المستحيل قبوله لأنه ترسيخ

للشمولية ولحكم الفرد مدي الحياة ثم للتوريث من بعده لابنه بنفس وتيرة الصدفة التي لا تعرف عنه سوي أنه شاب تربي في أحضان الثراء .. نهل من عسل السلطة.. لا يأكل إلا بملعقة من ذهب .. يقطن قصراً من قصور ألف ليلة وليلة .. انفصل بفكرة تماماً عن مجتمعه.. مجتمع الفقراء والأوباش لم يكلف نفسه مرة عناء زيارة عزبة القرود أو منشية ناصر.. أو ترعة الهلوتي التي تصب فيها مياه الصرف الصحي أو مشارف زفتي التي ينفث في أجوائها دخان مائة مصنع طوب .. لم يقف مرة في طابور الخبز ثلاث ساعات حتى يحصل على عشرين رغيفاً.. لم يخيط نعل حذائه لدي الإسكافي .. لم يكمل وجبة العشاء بكوبين من الماء الملوث .. لم يطهو الفتات العالق ببقايا عظام الفراخ بعد اقتطاع لحم " البانيه " .. طعام الأثرياء. لم ينحشر داخل أوتوبيس .. لم يشرب الماء الملوث بالطحالب والديدان .. فكيف لمثل هذا الشاب أن يعرف ما يعانيه الشعب وقد أتي من سماء السلطة السابعة متدثراً بعباءة والده الحاكم؟ كيف له أن يحكم مقهورين معدمين أذلة..

بالتأكيد سيردد كلمات ماري إنطوانيت " إذا كانت الناس لا تجد خبزاً فلتأكل جاتوه " هذا الشاب لو ورث الحكم عن أبيه فسيكون ميراثاً بالصدفة لأنه غير مؤهل لتولي مثل هذا المنصب .. لقد أتيت سيدي الرئيس للحكم بالصدفة واعترفت بذلك في بعض أحاديثك حين ذكرت أنك لم تكن تطمع أبداً أن تكون رئيساً وحللت بلا أهلاً ولا سهلاً من أغلب المواطنين في منصبك قرابة الثلاثين عاماً ما بين رئيس ونائب رئيس طبقاً لقانون الصدفة وسترحل أيضاً عنا أيضاً بالصدفة.

قاطعني الرئيس في غضب جامح:

- هذا كذب وبهتان فقد تجاوزت نسبة نجاحي في الاستفتاء تسعين في المائة من مجموع الناخبين.
- عفواً.. لن أصم هذه النسبة بالتزوير بل سأذكّرك بأنها منسّبة لمن أدلو بأصواتهم وليس لمجموع الناخبين.
- وتفرق إيه .. أم الخير زي ست الدار.
- لا يا ريس تفرق.. لأن نسبة من أدلوا بأصواتهم لا تتجاوز العشرة في المائة من مجموع الناخبين.. معنى هذا أن التسعين في المائة والذين لم يدلوا بأصواتهم في

الاستفتاء يرفضون تمديد رياستكم الكريمة وهذا يعني لا أهلاً ولا سهلاً. رغم هذا فالقضية الأساسية هي مدي شرعية نص في الدستور يخل بثوابت حقوق الإنسان التي أجمعت عليها المواثيق الدولية المعترف بها إقليمياً.. مثل هذا النص الدستوري يعتبر نصاً فاسداً يجب إسقاطه فلا يعمل به لمخالفته نصوص المواثيق الدولية.

- لغاية دلوقتي أنا مش فاهم قصدك إيه وانت عمال تلت وتعجن.
- المعني إنه لو النص الدستوري المحلي الفاسد خالف النص الدولي والمعترف به دولياً يعتبر باطلاً.
- كلام مسرحيات زي اللي كانوا بيرددوه في البتاعة دي اللي مثلوها على المسرح.
- لا يا سيدي الرئيس فالنصوص الواردة في قانون الطوارئ والتي تحجر على حرية المواطن وتجيز للسلطة القبض والمصادرة والاعتقال كلها تخالف نصوص حقوق الإنسان الدولية.. وحقه المنتقص في اختيار ممثليه الذي يشوبه التزوير باطل بطلان زواج

عتريس من فؤاده!! وبالتالي يحق لكل شـــخص الطعـــن على تلك النصوص لدي الأمم المتحدة وإعلان العصيان المدني ضد شرعيتها الباطلة التي تتنـــافى مـــع حقـــوق الإنسان وحقه في الاختيار .. وبهذه النتيجة وهي شرعية العصيان المدني ضد الإجراءات الباطلة تنامت حركات العصيان في أوكرانيا وجورجيـــا وقزاغســـتان ولبنـــان والبقية تأتي وستحتل مصر الأولوية في تلك البقية.

- خلصت ترهاتك .. عشان أنا دماغي صدعت.
- ليس بعد .. فقد خدمتك سيدي الرئيس الصـــدفة وأنـــت تتولي أمر الناس ثم وأنت تمارس سلطاناً لا حـــدود لـــه على البشر أتاك على طبق من ذهب دون جهد أو كفاح أو عرق من خلال دستور أزعر أهداه إليك المضـــحك الراقص على كل الحبال .. مغلف بقانون طوارئ أجرب .. أصاب الناس بالحكة والهـــرش السياســـي وقـــوانين استثنائية عرجاء تمسك عكاز الشرطة والجـــيش حتـــى تستطيع السير .. لقد وجدتها.. أي السلطات مبخـــرة .. معطرة.. جاهزة على كل الألوان يا بطسطا !! ســـلطات مطلقة ضد حرية المواطن وإرادته وحقه في الاختيـــار

مثل غانية تعرض بضاعتها المثيـرة علـى أي زبـون يقابلها .. لم يكن للنظام إرادة في تسللها خلسة في الظلمة بل أتته تسلم له مقاليدها طوعاً بدون تخطيط مسبق .. لم يبحث عنها - أي النظام - أو يكافح من أجل الاستئثار بها والنتيجة كما نراها الآن على الساحة بمساعدة هـذه الغانية الفاجرة استطاع النظام أن يخلع ملبوس الحريـة وأن يضاجعها .. يغتصبها عنوة.. يعذبها بينمـا النـاس لاهية في أمور حياتها تبحث عن لقمة الخبـز وسـداد فلوس الدروس الخصوصية لا يثير انتباههـا أو حتـى فضولها تلك السادية السياسية التي يمارسها النظام والتي لم نري لها مثيلاً إلا في نظام هتلر وموسوليني. صورها .. أي صور تلك السادية الفقر.. الجهـل .. الانحطـاط الأخلاقي .. الأمية .. تدني العلم .. اتساع رقعة النفـاق وصورك تحتل حوائط منابر الحرية والعلم واسمك يطلق على كل منشأ جديد حتى مصانع الأحذية !! لم يعد باقياً سوي تغيير اسم مصر لتصبح " مباركة " ومـع تغييـر الاسم تعلق صورك على جدران المسـاجد والكنـائس والمعابد. صدقني سيدي الرئيس الناس زهقت .. طهقت

بعد نفاذ صبرها في الإصلاح وأنت وجوقة الملائكة الأطهار مازلتم تصرون على بقاء الحال ما هو عليه لكن الناس لن تلجأ هذه المرة للقضاء لرفع الظلم بل سترفعه بأياديها .. لا نريد أن نراك وأنت الرمز العظيم لبلد عظيم مختبئا في حفرة تكراراً لما حدث مع صدام والأمريكان .. لا نريد أن يكون مصير أولادك مثل مصير قصي وعدي لا لسبب إلا لأننا قوم مسالمون ليس من شيمنا الغدر أو الانتقام .. فماذا يحدث لو هيأت البلد لديمقراطية حقيقية .. ليس في العمر بقية ولن تعيش أكثر مما عشت فلماذا هذا الإصرار؟! أعرف أنه ليس إصرارك بل هو إصرار من هم حولك فاخذلهم مرة واحدة من أجل أولادنا ومن أجل أحفادنا .. ويكفيك أن الشعب سيخلدك لا أن يرجم سيرتك .. فلماذا التردد ؟ لماذا التقاعس ؟ لماذا وأنت تعرف أن البلد على شفا حفرة سحيقة من نار .. لن ينجو منها أحد .. لا أنت ولا أنا ولا عجوز ولا شاب ولا طفل ولا امرأة ولا مراهق لماذا الإصرار على الشمولية؟!

قاطعني الرئيس في حدة:

- كلام أجوف لا طايل من تحته.
- يا ريس طايل في السجن.
- هتهزر معايي!
- يعني ما اشبهش وماله لما أمازحك . دا أنا ضمير والأجر على الله.
- كان زمان.. دلوقت اتفقست وبانت حقيقتك.
- يا ريس الكلمة ضمير .. سواء أكانت قرآن أو حديث شريف أو مقال صحفي أو رواية أو شعر.. لها قدسية.
- خلّص أنا ورايا شغل عندي لقاء بعد ساعة زمن مع نائب وزير الخارجية الأمريكي.
- وصلنا لمربط الفرس.
- تقصد أمريكا.. دخلها إيه في اللي بيحصل مالهم ومالنا .. يا جاري إنت في حالك وأنا في حالي .. وكمان همه لا جيران ولا يحزنون.
- من ناحية مالهم همه مالهم.. رغم أنها ليست بلدهم.
- ليه همه أوصياء علينا.

- إحنا اللي أعطيناهم الفرصة .. اللي بتعمله أمريكا دفـاع شرعي عن النفس وبعدين هي بتطلب منا ماذا .. بتقول لنا بالفم المليان دمقرطوا حكمكم.

- أنا راضي وإنت راضي مالك بينا يا قاضي.

- إنت راضي آه..لكن الشعب المصري غير راضي حتى لو كانت الصورة الإعلامية غير كده..قل لي هل أنـت فعلاً مقتنع أن الشعب المصري راضي عن حاله؟

- لا أنا مقتنع إن الحالة في مصر بقت خا.

- طيب وساكت ليه وانت في إيدك تغير ريحه الخا لأمل.

- وأنا أروح فين؟

- تاني !!

- وتالت ورابع.

- إنت في عيون الشعب بس إعمل حاجة..قدم للناس عمل جليل يفكرهم بيك.

- ما أنا غيرت المادة ٧٦.

- عظمة .. تكالبت عليها كلاب السـلطة وهـي تحـاول إقناعنا إنها فخذة ضاني ولم تكتفي بذلك بل مصمصتها – أي العظمة –!! القضية ليست في تعديل مادة٧٦ بل في

نظام اختيار رئيس الجمهورية الذي يتماثل مع النظام الملكي القائم على اختيار الملك لولي العهد .. الملك القادم. فرئيس الجهورية اختاره نائبه ولياً للعهد وهو ما حدث في ولايتين والبقية تأتي لذلك من الأفضل أن نطلق على نظامنا .. النظام الرئاسي الملكي .. الدستور كله في حاجة للتغيير الثوري .. لكن ما يدهشني حقاً كيف أن مستشاريك يعجزون عن قراءة خريطة الواقع السياسي في مصر والتي توضح تضاريسها أن التغيير حتمي ولا بد سواء من الداخل أو من الخارج .. همه منتظرين إيه .. مصيبة.. كارثة.. فتنة طائفية .. أمريكا قادمة .. قادمة ستحتلنا إذا ما توانينا عن تغيير نظامنا الشمولي لكننا لن نسمح لأمريكا بذلك.

- إنتم مين ؟! شوية حثالة مزقوقين من برة لا في بوزها ولا في ديلها.
- الحثالة التي تتحدث عنها هم صفوة المجتمع من المثقفين والأدباء والصحفيين والقضاة والمحامين والمهندسين وشرفاء رجال الأعمال والأطباء والمحاسبين والفنانين.

- إنت شطيت وحمّلت كلامي معني لا يحتمله..أنا قصدي شوية العيال بتوع المظاهرات.

- يا ريس أي مواطن بيدافع عن حقه بـــأي صـــورة مـــن صور التعبير يستحق منا الإنحناء والتوقير.

في تلك اللحظة دخل " هاجر " سكرتير الرئيس.. سلمه ملفاً .. بدأ الرئيس في متابعة أوراقه وهو يبتسم .. الصـــمت يعانق أرجاء الحجرة.. الوقت يمر بطيئاً وأنا أسأل نفسي ماذا في الملف؟! لقد تحدث الرئيس في التليفون منذ ســـاعة مـــع سكرتيره بصوت خفيض لم أستطيع تبين معالم الحديث سوي كلمة " بسرعة " ربطت بينه وبـــين الملـــف الـــذي يطالعـــه وانتهيت إلي نتيجة أقلقتني .. إن الملف يخصـــني.. مازلـــت مربوطاً إلي مقعدي على أحر من " الولعة " والرئيس ينحـــي الملف جانباً .. يتأملني بنظرات مريبة والابتســـامة مازالـــت عالقة على شفتيه.. وقف .. اتجه نحوي..دار حولي دورتين .. وضع يده على كتفي همهم:

- هو انت!!

احتواني رعب قاتل .. العبارة تحمل معني التهديد والوعيد.. أجبته في صوت صرصاري وأنا أحاول لململة نفسي المبعثرة وهو يعود إلي مقعده:

- هو أنا إيه؟!

التقط الملف بدأ يقلب أوراقه وصوته يسبقه:

- حكم بالسجن ثماني سنوات ثم بالسجن سنة ثم فصل من الوظيفة ثم اعتقال .. دا انت تاريخك أسود.

استجمعت إرادتي .. التقطت أنفاسي وأنا أرد بثقة:

- العكس هو الصحيح إذا ما تطرقت لتفاصيل ما ذكرت.

الرئيس يقلب الأوراق يهمهم قائلاً:

- حكم بالسجن ثماني سنوات لتأليف رواية " مسافة في عقل رجل " وحكم سنة لتأليف كتاب " الفراش " وفصل من الوظيفة كمستشار قانوني لنفس السبب السابق واعتقال مدة ستة شهور لتأليف كتاب الدمية.

سكت الرئيس عاد مستطرداً:

- كل دا وتاريخ مشرف.

- بالقطع لأننا نستدل من الحادث مقدار التخلف الذي يسود مجتمع يحكمه فكر لوثته الخرافة وسيطرت عليه عقول

شيوخ حجرية تريد أن تعود بنا إلي قرون الانحطاط .. فإذا ما تجرأ كاتب وناهض هذا التخلف الأعمي وحاول تحطيم أصنام الخرافة والخزعبلة كما فعل قبله " جان جاك روسو " " وفولتير" و " الغزالي " فهذا لا يصمه بل يشرفه ويشرف معه حرية التعبير.

- لم تكن واقعة التأليف هي السبب بل محتوي الكتب التي ألفتها.
- تقصد الاتهامات التي وجهت إليها من بعض مشعوذي الدين الذين يدعون أنها تمس العقيدة وتدعو إلي هدم السلام الاجتماعي.
- عليك ميت فل وعشرة.
- يا سيدي أنا مسُلم وموحد بالله ومسلّم بالثوابت الدينية ويمكن الرجوع لكتابي " أحزان الضفادع " حتى يتأكد للجميع ذلك .. لكن العقيدة نقرة وما كتبته نقرة.
- قصدك نُقرة عميقة.
- سمها ما تشاء نُقرة .. حُفرة.. المهم إن أنا بدافع عن قضية تحرير العقل من ملوثات الخرافة.

- وكتاب الفراش اللي ناديت فيه بالتحرر الجنسي والهلفطة والكلفتة والزفلطة.

- هو أيضاً دفاع عن قضية تحرير العقل من مورثاته الغبية التي حجّمته وقهرته وعذبته ذلك أن العقل البشري كل لا يتجزأ وبالتالي فتحريره لا يتم في جزئية معينة بل عن مفاهيم عامة وبغض النظر عن كُنهها دينية أو جنسية أو سياسية أو اجتماعية.

- عايز تشنير المجتمع!

- صح .. عايز أصحح مفهومات مجتمع متخلف .. فالمجتمع الذي يحكمه فرد واحد بسلطات مطلقة ولا يملك حريته ولا اختياره ولا تقرير مصيره يبقي لازم ولا بد من تغيير منظومته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

- أنا عارف هدفك .. تخبّط المواعين في بعضها وتقعد تتفرج.

- هدفي لا تخبيط مواعين ولا فرجه .. هدفي أن لا نخلط بين الدين والمدني فالدين له مجاله الغيبي القدسي وللمدني دائرته العقلانية .. لا يتداخلان بل هما في

الغالب الأعم متنافران .. فمادة الدين غيبية أما المدني فمادته واقعية عقلانية لذلك فيجب أن لا نمنطق الدين أو نُدخله لدائرة العقل حتى لا ننكره وأيضاً لا نصبغ العقل بالصبغة الدينية حتى لا نهدمه .. وبالتالي نبقي الدين بغيبياته والمدني بعقلانيته كل في دائرته متباعدان تماماً حتى يتعايشا سوياً فلا ننزع فرع منهما ونثبته في شجرة الآخر.

- كده تبقي وصلت لأخّرك.
- لا مازال أمامي الكثير لأقوله.
- قل ولا تخشى ولا تخف ولا تهاب .. فقد أمنتك على حياتك.
- فهمت من حديثنا الذي استغرق أكثر من ساعة أنك مُصر على تمديد رئاستك فترة خامسة رغم ما أثرته من اعتراضات وتحذيرات وما بذلته من محاولات لإثنائك عن خطوتك التي ستحول البلد إلي بركان يقذف حمم الغضب.
- حتى الآن وحتى هذه اللحظة أقول لك نعم.

- كما أنه قد تأكد لي أنك لن تلغي قانون الطوارئ أو تستبدل الدستور أو تحد من سلطاتك.
- بقائي واستمراري يمنع المتطرفين من القفز على الحكم.
- إذن فليس أمامي من وسيلة لتحقيق كل ما حدثتك بشأنه سوي ترشيح نفسي لرئاسة الجمهورية منافساً لك.

ضحك الرئيس .. الضحكات غاضبة .. لها رنين أشبه برجع الصدي .. على ضفافها السخرية .. ربما الدهشة .. وبعد أن نامت الضحكات همهم الرئيس في حدة:

- ترشح نفسك قدامي أنا؟!
- أيوه أرشح نفسي قدامك ما الغرابة في ذلك هو أنا برشح نفسي قدام ربنا!
- لكنني لم أقصر في خدمة المواطنين ولا في رعاية مصالحهم .. دا أنا مرضت بكافة الأمراض المستعصية نتيجة الجهد الذي بذلته حتى أوفر لهم حياة رغدة.
- المهم عندي النتيجة .. النظام ثبت فشله في تحقيق أولويات الحضارة والتحضر وأنتهي بالإنسان المصري إلى خمسين سنة ورا .. مغارة تسكنها العفاريت والأشباح.

- من أنت حتى تجرؤ على هذا الهذيان المنبطح؟ ناموسة أفعصها بصباعي.
- إنني لم أشك لحظة أنك تستطيع سحقي من خلال سلطاتك المطلقة لكن أن تشبهني ببعوضة فهي مسألة فيها إعادة نظر.. فالمبدع ليس بعوضة كل همها اللسع ومص الدماء. لكن ربما وصفك لمبدع بهذا الوصف يعبر عن نظرتك للمثقفين أمثالي من خلال ود مفقود وشك في نواياهم وعدم رضاء عن منهجهم لذلك فلا غرابة أن تفضل لاعب كرة على مبدع بل وتؤازره وتشجعه وتصفق له وفي المقابل تسجن كاتبا لأنه تجرأ وانتقدك.
- هتبتدي تلبخ.
- أبداً سيدي الرئيس فما أقوله تقرير لواقع يلمسه الجميع فبين الحاكم المطلق وبين المثقفين هوة شاسعة لا يمكن تجاوزها ربما لأنه لا يريد أو لا يستطيع تفهم أهدافهم في الحرية والمساواة والعدل ونظامك قائم على الضد.. فالحرية منعدمة والمساواة مفتقدة والعدل غائب وهذه الثقافة التي أنتمي إليها أبعد ما تكون عن

ثقافة العسكر التي تهدف إلى تعلم القتل وتدرب عليه كوادرها حتى ولو ارتدت ثوب الدفاع عن النفس ولا يهم من يكون القاتل ولا هوية المقتول ولا الأسباب أو الدوافع التي تدفع للقتل .. هذا القتل تعرضنا له في الحرب الثلاثية سنة ٥٦ وحرب بلد البن سنة٦١ وحرب السبع ليالي سنة ٦٧ بقرارات رئاسية عشوائية .. قررنا الانتحار وعندما حدث ذلك استعضنا عن سلاحنا بسلاح العدو لقتل مائة وخمسون ألف جندي. حتى حرب ٧٣ التي عبرنا فيها جدار المستحيل وقتلنا فيها مئات من العدو استشهد منا الآلاف.

- خلاص فهمنا وحفظنا أن مهنة القتل يمارسها العسكر سواء كان عدواً أو دفاعاً عن النفس.. فيه حاجة تانية عايز تقولها .

- هذا في زمن الحرب .. أما في السلم فتتمحور تلك المهنة من التصفية الجسدية إلي تدمير الإنسان من الداخل ويندرج تحتها صنوف الاضطهاد والتعذيب والسجن والسحل والاعتقال والتخريب النفسي والإيذاء البدني والتحرش السياسي وكثير وكثير من تصنيفات

اغتيال العقل والضمير والوجدان نـص عليهـا قـانون الطوارئ والقوانين الاستثنائية ومارسها النظام من خلال سلطات الحاكم المطلقة وهي تعبر عن ثقافـة الشـمولية وقت السلم والتي عانينا منها طـوال الخمسـين عامـاً الماضية .. هذه الثقافة هي العمود الفقـري لأي نظـام عسكري لذلك يجب حتى يتم تغييرهـا تغييـر الحكـم العسكري بآخر يؤمن بثقافة الحرية .

- شطحت قوى بأفكارك الحلزونية وتناسيت خبرة سنوات قضيتها متمرساً في العمل نائباً ورئيسـاً للجمهوريـة .. أقوم أسيبها كده تطيـر مـن إيـدي زي الـدخان دون الاستفادة منها.
- يا سيدي الرئيس النظام العسكري مثل شجرة الصبار لا يرجي منها خيراً .. فقد قدمت كل ما عندك ولـم يعـد لديك ما تقدمه سوى ما يمن به الحرس القديم علينا مـن تقييد للحريات وتجويع ومرمطـة للمـواطنين وتكسـير مجاديف سفينة الإصلاح دعني أصارحك عـن أسـباب إصرارك على التمسك بمنصبك حتى الوفاة .
- هيكون إيه يعني .. مصلحة الناس.

- لا يا سيدي بل الخوف من الزمن .
- بتكتب قصة ولِلاّ شعشعت في دماغك؟!
- لقد عانيت سيدي الرئيس كثيراً في طفولتك وشبابك لذلك ترفض الخوض في الحديث عن أسـرتك التـي كانـت تعيش مثل آلاف الأسر المصرية حد الكفاف وهذا فـي حد ذاته ليس عيباً يشين الإنسان ولا وصمة تصم حياته فقد عانيت مثلك والموت يختطف أمي وأنا في التاسـعة من عمري وواجهت أياماً قاسية .. وقبلك عـاش عبـد الناصر حياة بائسة بعد أن فقد أمه وتزوج أبـوه وظـل هائماً على وجهه يبحث عن مأوي قبل أن يسـتقر مـع عمه في القاهرة.. وما حدث له تكرر مع السادات.. فقد عاش طفولة خشنة تحت حد الفقر وذاق الأمـرين مـن شطف العيش والتشرد وهو يعمل تابعاً على سيارة نقـل بعد أن فُصل من الجيش لاتهامه بالجاسوسية .. مثل هذه المعاناة وتلك المصاعب غالباً ما تتحـول إلـي إدمـان الخوف من تكرار حدوث مشهد المعاناة القـديم لـذلك يصبح البديل هو التمسك بكل المكاسب التي حصل عليها

الإنسان لآخر نقطة في دمه .. ذلك هو التفسير المقبول لرفض حكامنا التخلي عن مناصبهم حتى الرمق الأخير.

- هتشتغل فيها نفساوي .. فاكر نفسك فرويد ؟!
- صدقني سيدي الرئيس لو تخلصت من مخاوفك وقررت الاكتفاء بربع القرن الذي قضيته في الحكم وأحللت ثقافة الحرية محل ثقافة العسكر فسنحملك على الأعناق مهللين مكبرين لك لأنك ستكون الأب الروحي للديمقراطية.
- إنت رغاي ليه ؟ الموضوع دا إتكلمنا فيه قبل كده وقلت لك على قراري .. أنا قاعد على قلبكم لطولون.
- إذن ودون أن تحمل لي ضغينة استأذنك في الترشيح منافساً لك على كرسي الرئاسة.
- من حقك كمواطن ترشيح نفسك لا عايز استئذان ولا استمحان المهم تعدي بحر الشروط.
- يعني عايز تقيدني بسلاسل وتقول لي عدي .. أكيد هغرق.
- كل واحد يتحمل نتائج عملته السودة.
- دا تهديد مغلف بالسلوفان.

- لا تهديد ولا وعيد .. إنــت وكــل المرشــحين مجــرد كمبارس في تمثيلية المهم مين اللي يؤدي دور البطل.
- المواطن هو البطل في الأول وفي الآخر.
- بقول لك دور البطل مش المتفرج.
- يبقي ما فيش غيرك يقدر يؤدي الدور ببراعة.
- أكيد ودانك اتسدت.
- آه فهمت لجنة الانتخاب.
- أخيراً ربنا فرجها عليك.
- ويبقي لازمة الترشيح إيه لما هــي مرســومة بالرجــل والمسطرة!
- فهمتني غلط .. هو مين في البلد يصلح رئيس جمهورية غيري.
- كثير .. وأنا أولهم.
- وآخرهم.
- إيه رأيك في أحمد زويل صاحب نوبل .. وللاّ فــاروق الباز عالم الفضاء.
- مالهم دول بالسياسة.

- طلبت مني أسماء وأنا قلت لك .. يكون في علمك لو أحمد زويل أو الباز وافق على ترشيحه لرئاسة الجمهورية سأتنازل عن ترشيحي.
- للدرجة دي.
- وأكثر.
- معني كده إنهم أصلح منك.
- لأ.. معني كده إن أي واحد فيهم سيحقق ما أريده وأصبوا إليه من نشر ثقافة الحرية.
- إنت معاي وللاّ ضدي.
- معاك لو نفذت برنامجي الانتخابي.
- برنامج إيه يا أبو برنامج.. أنا برنامجي أقوي وأشد.
- شاور لي على فقرة منه.
- برنامجي الانتخابي معلن وموجود ومطبق كل يوم .. أعمالي هي برنامجي.
- معني كلامك إنه مقرر .. مكرر.
- صح .. مكرر زيماية القزاير.
- لكن يا ريس لقد ثبت فشل هذا البرنامج بكل المعايير الدولية والمحلية بدءاً بالتعليم وانتهاءاً بالتفريط في

الأرض الزراعية ومروراً بالتلوث والفقر والأمية وتزايد السكان والغلاء القاسي والبطالة المتفشية وانتشار السرطان وهلم جرا.. لا شئ صح في البرنامج بعد أن انتشر الفساد والوساطة والمحسوبية .. وتضاربت البيانات.

- مش عايز أسمع كلام مرسل.
- يعني أعمل إيه .. تعالي معايا عشان تشوف بنفسك الأرض الزراعية التي التهمتها المباني وماء النيل المخلوط بمخلفات الصرف والمصانع ومرضي السرطان في مستشفي السرطان.. أما الفقر والأمية وتزايد السكان والغلاء الفاحش فتستطيع الرجوع لبيانات جهاز الإحصاء وأخيراً تضارب البيانات .. خلال شهرين وبالتحديد في ٣٠ يناير سنة ٢٠٠٥ قلت في تصريح عن احتمالات تغيير الدستور إنها دعوة باطلة وفي مارس اقترحت تعديل المادة ٧٦.. مر شهران فقط تحوّل خلالها البطلان إلي شرعية.. غيرت رأيك تسعين درجة.. بلدنا يا ريس بقت سداح مداح في عهدكم الميمون وبعد أن أثقلت الديون كاهل الميزانية التي بلغت

طبقاً لتقرير جهاز المحاسبات سنة ٢٠٠٥ دين داخلـــي ٥٤٦ مليار جنيه وديـــن خـــارجي ٢٨,٥ مليـــار دولار ورغم أن هذه الأرقام متواضعة مشكوك في صحتها إلا أنه بحسبة بسيطة نجد أن مجموعها بالعملة المحلية ٧٦٠ مليار جنيه وبتوزيع هذا الدين على أفراد الشعب يصبح نصيب الفرد الواحد في الدين حـــوالي ١٠٣٠٠ جنيـــه وهذه هي نهاية مطاف برنامجك يا سيدي فقد تجـــاوزت ديونك ديون إسماعيل باشا الذي لعنت سلسفيل جدوده.

- كله كلام دفاتر!!

- وفي مجال تبريرك لرئاسة الحزب قلت " إنه من واقـــع معرفتك بتاريخنا والتجارب المصرية السابقة اكتشفت أن بعّدك عن الحزب يضعه في مهب الريح وتوجه أعضاؤه للمصالح الشخصية .. وعجبي على عصر أصبح فيـــه الحاكم تميمة لحزب تعترف إنه بدونك لن تقوم له قائمة ولن يستطيع أن يقف في مهب الريح بل وسيعيث رجاله في الحكم فساداً وإفساداً .. كلام غريب بدأ تداوله هـــذه الأيام أن السلطة في النظم الديكتاتورية تمنع السلطة من الانحراف أو أن السلطة تراقب نفســـها.. عجبـــي !! إن

حزب الوفد لم يكن يترأسه الملك بل كان يناوئه وبعيد عنه بعد السماء عن الأرض ومع ذلك كان شامخاً .. القضية إذن ليست في رئاسة الحاكم للحزب .. بل في شعبيته ولأن الحزب الحاكم يفتقد لتلك الشعبية لذلك استعاض عنها بسلطات الحاكم المطلقة.

قاطعني الرئيس في حدة:

- خلاص فهمنا .. عدي بقي القنطرة.
- ليس بعد سيدي الرئيس .. إنك بهذا الاتجاه فقد أعلنت الحرب على فلسفة الحيدة المفروض اتباعها تجاه الأحزاب الأخرى بعد أن تحيزت بصورة فجة للحزب الديمقراطي وأنت تترأسه مع أن المفروض هو تحقيق التوازن بين الأحزاب لا أن تجامل حزباً على حساب آخر ذلك لأنك حاكم مصر .. أي حاكم لكل الأحزاب لا حاكم لحزب واحد.

قاطعني الرئيس للمرة الثانية في غضب شديد:

- لقد تجاوزت بحديثك فالحزب الوطني ليس حزباً إسرائيلياً.

- لو كان حزباً إسرائيلياً كان أرحم على الأقل كنا تعاملنا معا بهذه الصفة لكن المشكلة أنه حزب مصري له نفس الأهداف الإسرائيلية.

- إبتديت تخرف.

- الأهداف واحدة يا ريس .. إسرائيل عايزه تستعمر الشعوب استعمار استيطاني وهو نفس هدف الحزب .. استعمار استيطاني محلي لإرادة الشعب المصري.

- جيت تكحلها عميتها .. بقي معقول تحط الحزب الوطني الديمقراطي المصري في سلة واحدة مع الاستعمار!

- بل أكثر من هذا فهو أحد أسباب انهيارنا وهو يتبني سياسة عقيمة ستنتهي بنا حتماً إلي تفسح حضارتنا.

- ونبيعها عند الفسخاني؟!

ضحك الرئيس .. توالت ضحكاته .. قال نكته .. لكنه غزني بمسار .. إلي هذا الحد يستخف حكامنا بتحذيراتنا .. بقضايا تشغلنا .. رددت عليه في ضيق مكتوم:

- حتى لو عرضناها في دكان " جنينه " الفسخاني فلن يقبل أحد على شرائها.

- تضايقت !! لكن القافية حبكت.

- لست متضايقاً بل غاضباً فأنا لا أرص الكلام فوق طبلية أكل.. بل أعبر به عن مخاوفي.
- إغضب وللاّ اشرب من البحر.. أنا لا يهمني ولا يهزني كلامك.

احتواني الصمت للحظات حاولت خلالها استنهاض ذاكرتي .. عدت بعدها مستطرداً:

- يا ريس إن حضارتنا معرضة للسقوط العاجل إذا لم نتدارك الموقف بحكمة وسرعة .. فقد أرجع " ول ديورانت " انهيار الحضارات لأسباب عدة من أهمها تبوير الأرض .. واستنفاذ الموارد الطبيعية .. واعتماد الناس في الحصول على قوتهم من الخارج .. وانحلال عقلي وخلقي .. و ازدراء الكفاح والعمل .. وضعف الزعامة .. وتركز الثروة في يد طبقة .. ويكفي سبب واحد من كل هذه الأسباب لإحداث الانهيار.
- الكلام دا كان زمان لكن كل شئ في تطور.
- كان زمان وأيضاً الآن لأننا إذا ما حاولنا عقد مقارنة بين ما حذر منه " ول ديورانت " وبين حالنا لنتعرف على مدي الخطورة التي تواجه مجتمعنا نجد

إننا قمنا بتبوير الأرض الزراعية بإقامة المباني والكتل الخرسانية على ما يقرب من ثلث مساحتها وبالتالي بدأنا نعتمد في تدبير قوتنا على الاستيراد وفي الطريق لاستنفاذ كل مواردنا من البترول والغاز ودخلنا مرحلة الانحلال العقلي والخلقي بالانغماس في خرافة وغيبية الدين .. فاحتقرنا العمل وازدرينا الكفاح وبعد أن أصاب العقم بذرة أكفاء البشر وتحولت زعامتنا إلي قوالح ذره لا تصلح إلا للوقيد قاد مسيرتنا إما مصلحجية أو متآمرين على الحرية وأخيراً وهو أحد الأسباب المهمة تركيز الثروة في أيدي مجموعة من اللصوص الرأسماليين.

قاطعني الرئيس قائلاً:

- إن ما ذكرته مجرد تكهنات.
- أضف إلي ذلك كله الهم الأعظم لشعبنا كما تعودت أن تصفه في بعض أحاديثك ونحن نستقبل كل عام مليون ومائتي طفل حتى أصبح شماعة لكل أخطاء النظام لكن دعني أسألك أين كنت خلال أربعة وعشرين عاماً إلا قليلاً فترة حكمك والمشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم ولماذا

تركتها للصدفة-منظومة حكمك- دون حل رغم أن مفتاح حلها معروف للخاصة والعامة إما تحديد النسل أو استثمار القوة البشرية لكن على ما يظهر فقد فشل النظام ومعه الحزب في تخطي المشكلة ربما لأنه يريد أن يحكم مجموعة جرذان مستضعفة هزيلة لأن الأسود لا ترضي المهانة والإذلال.

- تمام بتتكلم زي المهاويس بتوع كفاية.
- الذين يتبنون حركة كفاية وطنيون مخلصون دعوتهم قائمة على رفض ما هو كائن سياسياً .. لا لتمديد فترة الرئاسة .. لا للتوريث .. لا حالة الطوارئ .. لا للقوانين الاستثنائية وهي دعوة وطنية لحركة شعبية لكن يعيبها إنها تتجه للتغيير مروراً بالرفض .. فترفض الأطلال أملاً في الترميم .. لذلك كان لا بد من التقدم خطوة أخري نحو المستقبل من خلال حركة جديدة لا تقوم فلسفتها على الرفض وإعادة الترميم بل تتبنى فلسفة الترك ثم البناء.. إهمال الأطلال وتركها على حالتها القبيحة المزرية فلا جدوي من هدم بعض أجزائها وترميم الباقي على نفس الأساسات التي أقيمت منذ

نصف قرن لأن مثل هذا العمل المضني قد يستغرق سنوات وسنوات ونحن ننظر في كيفية التعامل مع الأطلال هل نعيد ترميم ما أفسده الدهر ونفتح نافذة أم نهدم جدران الأطلال؟ فإذا أعدنا ترميمها فقد تتعرض للانهيار وإذا فتحنا نافذة تدخل منها الشمس فماذا يستفيد العميان؟! إما إذا هدمنا الجدران فعلينا أن نتأكد من سلامة الأساسات قبل أن نقيم عليها البنيان فإذا كانت قد تآكلت وتملحت بفعل الرطوبة ومخلفات الصرف فعلينا أن نحفر الأرض ونزيلها ثم نجس التربة للتأكد من صلاحيتها لصب الأساسات الجديدة وبهذا تضيع جهودنا بين شد وجذب واحتمالات الفشل والنجاح وسفسطة عقيمة لا طائل من ورائها حول الأولويات والضوابط والمحظورات وفي النهاية تتطاير أحلامنا إلى سراب عندما يتضح لنا أن الأرض إسفنجية هشة لا تصلح للبناء .. لذلك فالأفضل لنا أن نتخير على خريطة الحرية الشاسعة الأبعاد موقعاً لم يمسسه حاكم بالتخريب أو التجريب نبني عليه قصر أحلامنا الجديد طابقاً..طابقاً.. دون أن نستنفذ جهودنا في هدم الأطلال ثم إعادة بناء ما

هدم. دعوتنا لا تنصب على ترميم الماضي الكئيب بل تركه وإهماله .. هدفنا في النهاية هو استبدال الثقافة الشمولية بثقافة الحرية.. هذه هي الخطوة الأولي ويلزم لنجاحها وضع دستور جديد يعبر بصدق وأمانة عن هذه الثقافة لا مجرد تغيير مادة وحيدة يتيمة يبقي معها الثوب القديم البالي على حاله يكشف عوراتنا للعين الراصدة .. دستور جديد فلسفته نابعة من كفالة حق الاختيار للمواطن لا يهم بعد ذلك التفاصيل طالما أنها لم تخرج عن دائرة هذا الحق..هذه الفلسفة تصب في الحتمية..أي.. لا بد .. لامناص .. لا محيد.

- لابد من كفالة حرية التعبير وإنشاء الصحف وتكوين الأحزاب والنقابات والجمعيات الأهلية.
- لا بد من تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات وتحديد اختصاصات رئيس الجمهورية بما لا يخل بهذا المبدأ وبما لا يسمح له بالتدخل في أعمال السلطة القضائية والتشريعية وبما يضمن استقلالهما.
- لا بد من تحديد فترات الرئاسة بمدتين.
- لا بد من تحقيق المساواة والعدل بين المواطنين.

- لا بد من تمثيل الأقباط والشباب والمرأة فـــي مجلســـي الشعب والشورى والمجالس المحلية تمثيلاً عادلاً.
- لا بد من النص علـــى تحـــريم البنـــاء علـــى الأرض الزراعية.
- لا بد من النص على حظر تلويث البيئة.
- لا بد من النص على تحديد النسل.
- لابد من النص على قانون للأحوال الشخصـــية يحقـــق المساواة بين الرجل والمرأة.

هذه الحركة ستضم مجموعة من المثقفين يمثلون صفوة المجتمع د. أحمد زويل د. فاروق البـــاز .. ســـلامة أحمـــد سلامة د. جودت الملط .. د. أحمد عكاشة مرتضي منصور .. لبيب السباعي .. حسين فهمي .. سهير حلمي .. عمـــرو فهمي .. د.يوسف بطرس غالي .. د. عبد العزيز حمودة .. مختار سلامة.. خالد علاء .. د. حازم الببلاوى .. وائل عبد الفتاح .. محمد الباز .. إبراهيم عيسي .. يحيي الفخراني .. عاطف الغمري .. مني رجب .. د. سعد الدين إبـــراهيم .. طلعت رضوان .. أميرة بهي الدين .. عبد الله الســـناوي .. مصطفي مباشر هذه هي القائمة الأولي التي تم ترشيحها

بدقة سيتلوها بعد ذلك أسماء أخري لامعة في سماء الصحافة والفن والسياسة والإعلام والأعمال.

قاطعني الرئيس قائلاً:

- خلصت .. عشان فيه مفاجأة في انتظارك ربما لن تقوي على صدمتها.
- عارفها .. بمجرد خروجي من القصر سيتم اعتقالي.
- لا بد أن تعي جيداً أنني أحب وطني والناس وأتمني لهم الخير وقد فعلت لهم ما يمليه عليّ ضميري.. ولكنني أجد لزاماً عليّ أن استريح.
- يعمر بيتك!!
- لذلك فقد قررت بكامل إرادتي أن أسلم الراية لغيري أما أنت فأعدك أنه لن يمسسك سوء رغم تجاوزاتك لأنه تأكد لي أننا بشر وأنك ما واجهتني بما قلت إلا لأنك تعشق وطنك عشقي لها .. وإننا نحن الاثنين متيمان به .. فقد أعطانا الله الكثير والكثير جداً .. وثق تماماً يا ضمير أن الحرية التي اقتطعتها لنفسك وأنت تناقشني لن تسلب منك أو من غيرك.. فالحاكم ليس محصناً ضد النقد لكن في أوقات كثيرة كان نقدك لاذعاً وتحليلك

للأحداث موجعاً رغم هذا فقد أعجبني كثيراً برنامجــك " لا بد " وأتمني أن يطول بي العمر وأراه مخطوطاً على خريطة الواقع .. لكن الأعمار بيد الله ولا يعلم الإنســان متى أو في أي أرض يموت.

- أعذرني يا ريس فما قصدت التجاوز أو الإساءة لرمــز مصر الذي نعتز به ونعشقه .. لكنها لم تكن سوي رحلة تنظير لواقعنا المؤلم المخزي .. من خلال مناظرة بــين مرشحين اثنين للرئاسة لذلك كان لا بد لي أن أفتش وأقيم وأحلل وأظهر الصورة الضبابية التي يعيشــها الشــعب المصري بعيداً عن النفاق والتزويق .. والدنيا ربيــع .. وكل شيء تمام .. لكن ما أثلج صدري هــذه النتيجــة الرائعة التي توصلت إليها وأنت تقــرر تســليم الرايــة لغيرك والتي ما كانت لتتحقق دون هذا النقاش البناء.

- إنت صدقت !!